مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

المؤتمر السنوي الخامس

المنامة – البحرين

تحت عنوان

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾

[الأعراف: ١٥٧]

العمل في المجالات الآتية:

المجال الإعلامي

العمل المجال القضائي

العمل في مجال المواد الغذائية

د/ ياسين محمد غضبان

أستاذ التاريخ الإسلامي جامعة الإيمان سابقا

عضو المجمع

ذو القعدة ١٤٢٨ - نوفمبر ٢٠٠٧م

البحث الأول:

العمل في الإعلام
بين الحِلّ والحُرْمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

غدا الإعلام في الوقت الحاضر.. وفي المستقبل من أخطر وسائل الاتصال بين الناس، وطال مداه الناس جميعًا في حواضرهم وبواديهم وغاباتهم وبحاره، حتى في الأجواء.. واستخدمت الأقمار الصناعية لإيصاله إلى كل أصقاع المعمورة دون استثناء.

و لم يجد الإعلام عدوا قويا قادرا على كبح جماحه.. أو الحد من انتشاره، بل العكس اخترع الإنسان وسائل خطيرة ودقيقة جدا، وحتى متناهية في الصغر.. لتقديم الإعلام لكل الناس، على اختلاف مستوياتهم العقلية والعلمية، كما أنه لم يجد مناهضا أو منافسا يحول عقول الناس عنه، بل تمكن أن يطرق كل المفاهيم على اختلاف توجهاتها، وعقائدها، وقضاياها المتنوعة، ولست بحاجة في هذا المقام إلى الحديث عن واقع الإعلام الذي يشعر به الجميع، ويعرف الجميع عنه كل أخطاره، والقليل من فوائده لو طوع واستخدم في سبيل الله.

والعجز أصاب المسلمين - كما أصاب غيرهم - جعلهم في حيرة من أمرهم عن مدى قدرتهم على تحمل مصائبه، فقد تجاوز الحدود والخطوط الحمراء والصفراء - واندفع إلى مضاجعهم فأخذ منهم كل فترة راحة أو هروب إلى المجهول، كما استأثر بالكثير الكثير من توجيه وتعليم وتدريب وتثقيف أبنائهم وأزواجهم.. و لم يبق حتى الآن مستورا إلا كشفه، ولا مغطى إلا بينه، والطريقة المثلى حتى الآن لمكافحته وحربه - مقاطعته والهروب منه - و لم يعد يتحمل هذا إلا القليل القليل جدا، نظرا لتنوع وسائله وأساليبه ومداخله وفنونه.

أرجو الله تعالى أن يوفقني في عرضي التالي عنه: أن أبين بشيء من الموضوعية والتوضيح الموفق.. طريقا أو طرقا تصلح لأن تكون سبيلا للتعامل مع هذا العدو؛ الذي لم تعد له عدة، و لم يصنع بعد سلاحا يردعه، أو يصلحه، أو يلجمه في هجمته الشرسة التي تجاوزت كل المعايير، والله الموفق.

المبحث الأول

الإعلام

يأتي بحث هذا الموضوع في مجمع فقهاء الشريعة في أمريكا خطوة موفقة، يتمكن معها الجميع وضع النقاط على الحروف، وتبيان ما هو محرم، وما هو حلال.. أمام الكثيرين الذين يتلقون معطيات الإعلام، وليس العاملين في خضمه – وهم قلائل جدا – فقط، ممن ركز الموضوع عليهم في مجالي الصحافة والتلفاز، والرأي عندي أن نعقد مؤتمرا علميا وفقهيا، وفنيا، واجتماعيا للتداول في هذا الموضوع من جميع جوانبه، وأن يمول ويسند ويدعم من أصحاب الرأي والقادرين على سد نفقاته المادية، ولو ردا على واحدة من الآلاف المتداولة في العالم لتحسين وتجميل وتسويق بعض جوانب الإعلام في العالم كجوائز الأوسكار، وجوائز قرطاجة، وجوائز أهل الفن، وتكريم بعض الذين ساهموا بكل جدية وعمق في تحويل وتبديل وطعن القيم الأخلاقية والدينية لهذه الأمة: أن يعقد مؤتمر للإعلام انطلاقا من هذه الخاطرة في هذا المجمع، فإنه على الأقل يبين للتائهين والمترددين فضل هذا الفن.. أو حرمانيته، أو المعالجة الصادقة لأدائه في أحسن الطرق وأفضلها.

ومع قصر المدة المحددة للموضوع، ولربما لا يظفر البحث بتوسعة بإلقاء النظر الكاف عليه، فقد طلب أن يرافقه ملخصا هو الأجدر بالإطلاع عليه أو تصفحه على الأقل من قبل النخبة التي يجب عليها قبل غيرها من الناس أن تؤكد موقعها بالنصح لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قد يكون هذا المدخل موجها الأنظار إلى خارج الموضوع.. والمطلوب الحديث عن فئة من المسلمين تعيش في عالم أهل الكتاب عموما، تتعامل مع الإعلام الذي تفلت من كل القوانين، والأطر، والقيم، والأعراف، وترك يرتع في الدنيا كالوحوش الكاسرة لا يراعي عقلا ولا دينا، ولا صفة ترددت يوما في آداب الشعوب ومدوناتهم.. في إحدى المحطات الفضائية يكتبون بكل لغات العالم (فتيات لا يخجلن من شيء) والأعمال أسوأ بكثير من هذا القول وأمثاله.

أ – **الإعلام تعريفا:** طرح معلومة معينة ونقلها بوسائل محددة إلى الآخرين، والإعلام إخبار بقضايا متنوعة من مصدرها إلى من هم بحاجة إلى معرفتها وسماعها أو رؤيتها، أو وقوع الخبر عليهم.

والإعلام: توصيل أحداث من مكلفين برصدها إلى جميع الناس أو جزء منهم، حسب الأهمية وحسب قوة المصدر.

والإعلام: علم من أخطر علوم العصر قدرة على التأثير والتوضيح، والمعرفة وبعد الأثر.

والإعلام: علم أكاديمي وتفجير لطاقات كامنة في بعض نفوس يهيئ لها السبيل لتعطي بأوضح الصور، وتصل إلى أكبر شريحة من الناس، وتعدت الشرائح إلى الملايين والمليارات.

والإعلام: تعليم وتثقيف، وتدريب، وتنمية مدارك، وتوجيه، وكذب ونفاق، وقلب حقائق.

والإعلام: عطاء متنام وغير محدد، واختراع، وتكنولوجيا، واقتصاد، واستثمار، وبث الأفكار واصطياد عقول كثير من الناس – عاقلين كانوا أو غير ذلك.

ب – ثم إن الإعلام في أقسامه الثلاث:

١. **المسموع**: والذي يتم عبر حاسة الأذن مباشرة، أو غير مباشرة، وقد اخترعت له أمواج الأثير والمسجلات، والنقل البشري، عبر الناس بعضهم من بعض، ومازال هذا القسم هو الأكثر شيوعا بين البشر، و لم تفقد محطات الإذاعة ومراكز البث، وأدوات الالتقاط دورها، والتسجيلات تلعب دورا هائلا في نقل معلومات من مصادرها إلى الآخرين.

٢. **المقروء**: وهو الذي يتم عبر حاسة الرؤيا.. وهي الأداة الأكثر انفعالا والأكثر استيعابا، والأكثر متابعة في تثقيف البشر، وعن هذا الطريق مازال التعلم والتعليم في العالم يعتمد عليه النمو والتطور والارتقاء في دور العلم، ودور النشر، والإنترنت، الذي تداخل مع السمع أحيانا في تطور أجهزة ومواقع تنمو وتكبر حتى فاقت حدود إمكانية الملاحقة.

٣. **المرأي**: وقد تطور في العصر الحاضر بواسطة التلفاز والإنترنت ليصبح الأكثر تشوفا، والأكثر انتشارا مع أنه كان محصورا في المسرح، ثم السينما، ثم بعض مواقع التشخيص، وأصبح الآن مع الإعلان ومع الإنترنت الأكثر خطورة وعمقا وتأثيرا وأداء.. فمع صراع الأجيال في منتصف القرن الماضي لبروز السينما والمسرح، ضعف الآن لينتقل صراع الأجيال – المحافظة، إلى هذا العالم الجديد الأقل جهدا، والأقل تكلفة، والأقل نفقة، والأكثر تأثيرا وتشويقا.

المبحث الثاني

مقومات العمل الإعلامي

لا يقوم أي عمل إعلامي مهما كبر أو صغر، أفاد أو أضر، مسموع أو مرأي أو مقروء؛ إلا على ركائز أربع، ولا يتم العمل إلا بتوافق هذه الركائز وعملها مجتمعة، وإلا فإن العمل الإعلامي يبقى ناقصا وغير متكامل، وتضافر الركائز هذه تولد في النهاية شيء اسمه الإعلام، وهذه الركائز هي:

١- المادة المكتوبة:

وهي البداية.. تنطلق من عقول الكتاب والمفكرين والقصاص والأدباء والمؤرخين والمبدعين والمخترعين.. ولا يمكن لأي عمل إعلامي البدء بالتحرك دون المادة المكتوبة، واختراع الوسائل المتطورة سهل كثيرا على الكتاب والأدباء والمبدعين، وكتاب السيناريو (الحوار) أو أي عطاء فكري.. الإبداع؛ وزيادة في الإنتاج.. فهل المساهمة من الكتاب الإسلاميين في تقديم المادة المكتوبة حرام أو حلال؟

أعتقد والله أعلم أنه علم يقع تحت فرض الكفاية، إن عمله البعض سقط عن الباقين، وتركه من الجميع يولد الإثم على الجميع.. هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى الأكثر خطورة هو المعين الثري الذي لا ينضب في الإنتاج الفكري عند المسلمين، وكما أن القرآن الكريم قد استوعب ويستوعب وسيستوعب كل باحث جاد في عطائه، فيمكن الآن أن يبقى النبع الفياض الذي يمد المفكرين المسلمين بمختلف أفكارهم وإبداعاتهم الخلاقة.. وعلى مدى القرون التي تلت نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المنهل ومازال، وجمع العلوم المرتبطة به من تفسير وقراءات، وتاريخ، وأدب، وعبر، وأحكام، وتوجيه وإرشاد... الخ، وهنالك هذه العلوم أيضًا زادت في فتح مغاليقه، والوقوف على أسراره التي لم تكشف ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾(١) في إعجاز متدفق بلاغي أو حسابي، أو علمي، أو اقتصادي، أو سياسي، أو تاريخي، أوي أي منطلق للإبداع والعطاء.

وتأتي السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، والعطاء الحضاري الإسلامي الذي صيغ ضمن قوانين الأخلاق والفضيلة، والصدق والرحمة، ولا تجد في أي أدب من آداب الأمم ما يوازي عشر معشار جزء من عطاء الإسلام، فهل يمكن أن يكون هذا العطاء حراما؟.. لا إنه كما قلت فريضة كفاية.. فكما سود الكتب، وملأ الدنيا بالمعرفة والعلم، كفيل أن يمد الباحثين بكل ما يريدون، ومن ثم فلا

---

(١) ص: ٨٨.

خوف من إقفال باب الصدقة للتحول إلى الكذب، بل يمكن أن يعطي الحقائق الدائمة الخالدة، ويثري الإعلام بأخلاقية تَنَحَّت كثيرا عند سيطرة أصحاب الشهوات المادية والجنسية على الإنتاج الإعلامي، وطورته، وقفزت به إلى المكانة التي وصل إليها الآن.. إن افتقار المادة المكتوبة المقدمة للإعلام على الأخلاق والفضيلة نحى بها وبكل قوة إلى الانحطاط والرذيلة التي نشكو منه، وجعلنا نصنف الإعلام على أنه عدو متوحش مهلك وما هو إنساني أو أخلاقي، نحن لا نفتقر إلى الباحثين والمؤلفين والأدباء والمؤرخين وحتى العلماء.. لكننا نفتقر إلى عنصر المبادرة، ولتقديم المادة الصادقة لتأخذ طريقها إلى الإعلام. إن بعضا من الأعمال المتواضعة التي شقت طريقها بصعوبة إلى التنفيذ قد أعطت أثرا في النفوس جعلته حديث الناس كافة ولو كان العمل لا يتعدى أفلام الأطفال.

٢- وسائل الإعلام:

جميع وسائل الإعلام لمختلف الأقسام والأنواع أدوات صماء جرى تطويرها وبشكل خطير في الوقت الحاضر، من المطبعة إلى دور العرض وآلاته إلى خشبة المسرح، إلى شاشة التلفاز أو السينما، إلى كل ما يخطر ببال المستهلك حتى الأقمار الصناعية.. أدوات خاضعة للتسويق والبيع والشراء، لم تعد تلك الوسائل حكرا على شعب دون شعب، سواء بالإنتاج أو التطوير أو التسويق، إنما تخضع الآن لموضوع العرض والطلب، فهي متداولة وبأجمل العروض وأرخصها في كثير من المواقع، كما أنها خاضعة للتطوير والتحسين والتنسيق والإهمال، وبذلك فإن وسائل الإعلام ليست عقبة في وجه المنتجين الإعلاميين في مختلف أنحاء العالم، وأي شخص مهما كان أصبح بإمكانه إنتاج شريط التسجيل أو الفيديو (المنسوخ) أو السي دي (C.D) أو التصوير، أو طبع الكتاب أو تصويره، وحتى في إمكانية الدخول المحدود في إنتاج المواد الإعلامية، صحيح أن الإنتاج القوي والمؤثر في يد شركات عالمية غنية وضخمة وتملك الإنتاج المتطور، لكن لا يعني هذا إلا فرض الاحتكار كفرض إنتاج السلاح المتطور الذي يحتاج إلى عقول وتقنية وصرف مادي بلا حدود، ومع هذا فإن الإنتاج الكبير أو المتطور يخضع في مراحله إلى عملية الاستثمار أو عملية التوجيه، وفرض الرأي، والهيمنة على الشعوب، لكنه ليس حكرا على كل حال على أمريكا مثلا، فإن إنتاجنا مؤثرا.. كألعاب الأطفال وأفلام الكرتون التي تغزو العالم ليست من إنتاج أمريكي بل من إنتاج دول جنوب شرق آسيا — اليابان أو كوريا أو تايوان — وبتوجيه وتأثير من الغرب فقط، حتى إنتاج دقائق الكمبيوتر، إذن نستخلص أن وسائل الإعلام يمكن الحصول عليها بأقل جهد وتوفر المال، وتوفر الإرادة للمشاركة في توجيه العالم، حيث تمكنت طوائف وحركات شراء محطات تلفزيونية تبث كل الوقت، وإنتاج أفلام موجهة أيضًا توزع لجميع أنحاء العالم.

٣- العاملون في الإعلام:

وتكمن الخطورة هنا في الواقع.. فقد وجهت جميع دول العالم - إلا نحن المسلمون - للعمل والتعلم والتعليم لطاقات بشرية هائلة، للعمل في مجالات الإعلام. والعاملون من حيث المشهد فئتان.. فئة ظاهرة — الممثلون، والمشخصون، والمغنون، والواعظون، والموجهون، والمذيعون، ومعدو البرامج، ومديرو الحوارات، والمعلقون السياسيون والمفكرون، وغيرهم الكثير، وآخرون يعملون من وراء الستار في الإخراج والمكياج والإعداد والتصوير والتلقين، والهندسة والضوء والديكور، والكتاب، والفنيون صانعوا الأدوات والذين يقدمون على صيانتها، وتتضافر جهود هؤلاء وأولئك لإنتاج العمل الإعلامي، والذي يخرج بعد ذلك للمشاهدة بعجره وبجره، وبخيره وشره، وجيده ورديئه، فلمًا أو مسلسلا، أو مسرحية، أو كتابا، أو إعلانا، أو أي مشهد إعلامي آخر.

وينقسم هؤلاء وأولئك أيضًا إلى فئتين، فئة فنية مؤهلة تأهيلا علميا متطورا في علوم الإعلام المختلفة كالتمثيل والإخراج، والهندسة، والإضاءة، والخدع السينمائية، والأداء المتميز.. وكلها أصبحت تخضع لتعليم جامعي أكاديمي في جميع أنحاء العالم، ولم تعد تعتمد على العفوية وجمال الشكل وجمال الصوت فقط.. بل أصبحت قضية خطرة لابد من تدريبها على فنون الإعلام وتشعباته وأقسامه المختلفة، ولم يعد يقبل كثيرا ازدواجية العمل الإعلامي كالتمثيل والإخراج مثلا بل أصبح التخصص.. والتخصص الدقيق هو السائد في جميع الدراسات الأكاديمية لإعداد الإعلاميين، ولا تهمل بحال المواهب الإنسانية التي حباها الله لأناس دون غيرهم، كالجمال، وجمال الصوت، وحسن الأداء، والإبداع، والرسم والهندسة، التي زادها التدريب والعلم تفوقا ملحوظا.

والفئة الثانية من العاملين في مجال الإعلام أناس عاديون، يطلق عليهم عادة اسم الكومبارس أي الحشد الهائل من العاملين الذين ليس لهم من أدوار بارزة، أو من أخصائيين أو مهنيين في أول السلم كالبناء والنجار، والصباغ، والكهربائي، والخياط، ومصمم الأزياء، ومصمم الديكورات، لكن عملهم لا يظهر في العمل الإعلامي الهادف؛ مع أنهم هم معدو أرضيته ومظهره. هؤلاء العاملون في الإعلام يعتمدون على التدريب والتوجيه، والأداء البسيط المطلوب منهم.. ولعلهم متوفرون في جميع المواقع والأماكن، وما مارسوا من أعمالهم أصلا لخدمة الإعلام.

العاملون في الإعلام فئة منهم تتحرك بخلفية عقائدية، تعمل لتحقيق هدف معين، سواء منه المفسد أو المصلح، وفئة تعمل لخدمة باب علمي معين، وفئات كثيرة تختفي وراء منطق خدمة الفن، حيث أعظم الإنجازات والتطورات في مجال الإعلام كان أصلا لخدمة الفن، وبذلك فقد صنف الإعلام في تعداد الفنون، والذي يعتبر من أخطر إنجازات الحضارة الحديثة، إن أخطر فئة تواجه الإعلام هم العقائديون، الذين ركبوا مركب الشيطان لإفساد النفس الإنسانية، واستخدموا كل الوسائل القذرة

لمحاربة الأخلاق والفضيلة، ونشر الفساد والرذيلة، وكذلك بث الأفكار المخالفة لكل قيم الإنسان، ولعل اليهود كان لهم الباع الكبير في هذا المجال حتى أنهم وجهوا النظر إلى الإعلام على أنه مفسدة وكفى! وحربه فقط تتم بمقاطعته، والابتعاد عنه وتشويه سمعته، وجعله مصنفا في باب الخلق السيئ والرديء، ومازالت سيطرة كبيرة لهذا الاتجاه توجه الإعلام العالمي وتغذيه وتقويه، وتنفق المال والجهد والنساء لانتشاره، وسحب خيوط الأعمال الخيرة الحقة من البروز والتداول بين الناس.

هؤلاء يجب معرفتهم والرد عليهم بجهود وأعمال عطاء متميز نحن ما نظرنا إلى ارتفاع سلمه بعد فبدأنا نصعد السلم؟!

الحديث هنا عن المفاصلة بين الإعلام والعمل في الإعلام، واستشارة الشرع بين حرامه وحلاله.

المسلمون ابتعدوا كلية عن الانخراط في عالم الإعلام، والذين دخلوا في هذا الخضم مازالوا يتحركون في الأطراف والحواشي، ولم يتمكنوا بعد من التقدم إلى الأعماق، والذين دخلوا خطوات خجولة.. دخلوا في باب المفسدة كلية، كالمسلسلات السورية التي أخذت تمجد الجاهلية العربية وتعطي أعمالا إعلامية خطيرة، لتنسي الناس فترة الإسلام، أو منتجو الفيديو كليب، الذين دخلوا وراء الساقطين من مفسدي الأمم والشعوب، والأعمال المسرحية والسينمائية التي أرادت التقليد فقط، ومن دخل إلى الأعماق حذف حقائق التاريخ الإسلامي بأعمالهم الفريدة الوحيدة خوفا من تعطيل انتشار إعلامهم كالعقاد في فيلم الرسالة الذي لم يشر إلى أي صدام بين المسلمين واليهود في عهد النبوة، مع احترام العمل الجبار في عمر المختار لأن إيطاليا ليست ذات موقع يمكن معه الخصومة أو السيطرة أو تعطيل الإنتاج.

لقد توجهت كثيرا من القنوات الفضائية العربية الآن لتكون صورة ممسوخة عن توجهات المفسدين في العالم تمكنت أن تجد لها مكانا في الأقمار الصناعية (عربسات)، (نايل سات)، أمثال القنوات اللبنانية والمصرية، والمستأجرة لعرض أوسخ الأعمال الناطقة بالعربية، مدسوسة بين طيات بعض الأعمال الكبيرة أحيانا.. ولم تخل قناة – حتى التي لديها بعض الأخلاق – من مشوار عرض الموضة أو طرق التجميل، أو حتى ما يخجل عادة الإنسان من متابعته في بعض الإعلانات الماسحة.

نحن خارج الإعلام، مثلنا كمثل الذي يغني خارج السرب، ملتقطا نغما من سرب، أو صيحة من سرب آخر، هل فكرنا في افتتاح كلية متخصصة للإعلام، كما تمكنا مع افتتاح كليات الشريعة في كثير من المواقع.. وأقترح الآن، تدريس الإعلام كقسم مستقل في الأزهر، وفي الجامعات المفتوحة، والحصول على اعتراف بشهادات بهذا التخصص، لسد الفراغ الهائل من العاملين في الإعلام، ونبتعد

عن تسمية الموضوع بالإعلام الإسلامي.. لأن حساسية التسمية ستنعكس على الراغبين بدراسة هذا العلم، ونبدأ فورا بتشكيل اللجان لوضع الأسس اللازمة لمثل هذا العمل.

من جهة أخرى.. وبعدا عن أصحاب العقائد العاملين في الإعلام، والذين لا يمكن تنحيتهم عن مواقعهم إلا بأعمال تهز أركانهم – وهذا مستحيل الآن بالنسبة لنا – ندعهم ونتوجه إلى العاملين في الإعلام من الآخرين على اختلاف تخصصاتهم ومواقعهم ونستأجرهم للعمل معنا كما جرت تجربة العقاد أيضًا باستئجار أنطوني كوين وآخرين للعمل معنا في اتجاهاتنا العقائدية وليس التقليدية الممسوخة – لكسب الشهرة – فقط.. وتشكيل فريق عقائدي مهمته وضع الخطط للتعليم والإنتاج والتعاون واستخلاص الأعمال الرائعة وتقليد الأعمال المبدعة في عالم الإعلام.. ولسد هذه القفزة لابد من التخطيط الدقيق والإيمان العميق، والسند الشرعي الحقيقي وتشكيل هيئات الرقابة الشرعية وكسر الحواجز المانعة لأي عطاء إعلامي، والاكتفاء بوجود الوعاظ فقط الذين تتكرم علينا بهم بعض المحطات الفضائية، والتأليف في هذا المجال، وجمع الطاقات وتدريبها، وهذا ما يتوجب تدخل الركيزة الأساسية الرابعة الضرورية في مجال الإعلام.

٤– التمويل المالي:

الركيزة الأساسية والأخطر هي التمويل المالي، فليس هناك أي عمل إعلامي من غير تمويل مالي.. مهما كان.. لم يبذل حتى الآن أي مبلغ أو يوظف في أداء عمل إعلامي متميز، إلا القليل، الذي يستحق أن يكون خالصا لله أو متميزا أو منحازا إلى تفكير المسلمين، والسبب ربما لا يدركه الكثيرون، وهو أن الحكومات الإسلامية ٦٤ دولة إسلامية مستقلة والباقي انتهى أمره ودخل في تعداد الدول التي غطتها الشرعية الدولية. ففي الوقت الذي استقلت بها دولة جزر القمر بضع عشرات من الألوف بقيت (تركستان الشرقية – سينكيانغ) تابعة للصين وهي تعد مئات الملايين مثلها مثل ملايين المسلمين في الهند وروسيا، كل هذه الدول ما وضعت الإسلام نصب أعينها لتدافع عنه، وتدعو له، بل كلها في خضم الصراع مع أعداء الإسلام في الغرب والشرق الأوسط، وانضمت إليهم معتزة بحربها للإرهاب، والذي يمثل قلبه وجناحيه المسلمون المعتدلون والمتطرفون والأكثر تطرفا، ثم فقر هذه الدول؛ لا تخصص مالا لمثل هذه الأعمال، ثم إن أغنياء المسلمين لم يجرؤوا بعد على المغامرة في توظيف أموالهم؛ أو يستثمروها في هذا المجال، أو يدخل في مجال اهتماما تهم عمل دعوي كهذا.. وإن وظفت بعض الأموال فإن أسقفا تقع فوقها، فإن تخلصت من سقف السياسة في بعض المواقع.. قابلت سقف الحرية الذي يغطي حتى الآن جميع الشعوب الإسلامية وعلى رأسها دعاة الإسلام.

لا ننكر بعضا من الاستثمارات في هذا المجال، لكنه يتحرك ضمن حدود الإسلام المسموح للحكومات لا أكثر ولا أقل.. سواء أكان المستثمر لهذه الدولة أو لتلك.

والحركات الإسلامية على عمومها أضعف كثيرا من أداء الفرق الباطنية التي ملأت حيزا لا بأس به في القنوات الفضائية المتزايدة على الدوام كطوائف القاديانية والبهائية.. وأخطرها وأكثرها انتشارا.. قنوات الإثنا عشرية (الجعفرية) تحت مظلة إيران، أو لبنان، أو غيرها من القوى الحكومية والسياسية المنفذة في عالم المسلمين.

التمويل المالي كركيزة فاعلة في الإنتاج الإعلامي طور الإعلام وتقدم به خطوات خطيرة، وارتفعت تكاليف بعض الأفلام إلى خانة المليارات من الدولارات.. ودول إسلامية لم تصل ميزانيتها إلى عشرات.. بل بضع أو بعض ملايين، وللإنفاق العام على جميع مصارف هذه الدول، وتصلها هذه الميزانيات بواسطة القروض الربوية التي تعجز عن سد فوائدها عادة.

وبعد هذا نحب أن نشير إلى فقدان المؤسسات الإعلامية المتخصصة، وكثرة المتطلعين في هذا المجال، الذين اتخذوا من التمويل المالي استثمارا للإعلام الهابط المقلد.. الذي أصبح عارا على أخلاق أمة خلقها القرآن.. ودينها الإسلام.

جمع هذه الركائز ممكن عند الراغبين، مفكرونا جاهزون عند طلب تحويلهم إلى كتابة أعمال إعلامية، والوسائل جاهزة في جميع أنحاء العالم، وليست محتكرة على أمة دون أمة، والعاملون جاهزون للتعلم والاستئجار، والمال موجود فلنخرج من البنوك الربوية.. ومن ثم وأخيرا شكلوا هيئات الرقابة الشرعية.

المبحث الثالث

أبرز أعمال الإعلام عند المسلمين

لا يعدم إطلاقا أن أمام المسلمين وبين ظهرانيهم وفي دروبهم المتفرعة والمتفرقة، أعمالا إعلامية قوية وخطيرة وجبارة، ومهما حاول الحكام - والظلام منهم خاصة - السيطرة عليهم وتدجينها وتسخيرها لصالحهم، وللتحدث عن أمجادهم الخاوية - كما امتلأت أجهزة الإعلام الأخرى - فإن الباب المفتوح، والذي مازال مفتوحا، وسيبقى مفتوحا إلى أن يرث الله ومن عليها إلا وهو:

١ - خطبة الجمعة:

على الأقل سبعون في المائة من السكان المسلمين في العالم يهرعون إلى المساجد لسماع خطبة الجمعة، وملايين منهم يتابعونهم في وسائل الإعلام... رجالا ونساء وأطفالا، استجابة لآية واحدة في القرآن الكريم تصدرت ثلاث آيات أخر في سورة الجمعة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(١).

ومع الملاحظات الكثيرة حول خطبة الجمعة، وما وصلت إليه في الوقت الحاضر فإنها تبقى استمرار ورغبة، وعبادة، ونداء، واستجابة مفروضة على جميع المسلمين، ومع هجر بعض الشاذين لها وتركها.. ولكنها وبكل يقين وثبات تمتد، وتمتد.. وكلما بني مسجد في أصقاع المعمورة في عالم المسلمين؛ في عالم الغرب أو الشرق أو الوسط أو الشمال أو الجنوب، فإنها لقاء أسبوعي يتكرر خمسين مرة في العام... بشروطها وأركانها، وموقع الخطيب، أو موقع المصلين، فهذا الباب المفتوح دائما كفيل بربط الناس بهذا المعلم الإعلامي الخطير.. والذي كما أسلفت مازال ينمو ويكبر، ويمتد ويعطي ويؤثر حتى يوم الدين.

كما ارتبط بصلاة الجمعة أحاديث كثيرة، وبمختلف لغات العالم ولهجاتهم، وكذلك مواعظ ومحاضرات هي الأخرى توسعت لتكون سابقة لصلاة الجمعة أو لاحقة لها، فإنها طور إعلامي قد

---

(١) الجمعة: ٩-١١.

توفرت له جميع ركائزه وأركانه، ونترك هذين الحدثين، ونبقى في المسجد الذي مازال مفتوحا رغم رصد كل أبوابه وإقفالها خارج أوقات الصلوات، فإنه لا يعدم بحال أو بوقت، أو بمناسبة وجود موعظة، أو حديث، أو خاطرة، أو تذكرة، أو آية تقرأ، أو حديثا نبويا يقال، فهذه تعتبر بحق مراكز إعلامية وبرامج دائمة.. يحسن الاستفادة منها مع التركيز والتهنئة المفيدة، وذكر الناس وتذكيرهم.. الدائم، وهم في هذا لا يحتاجون إلى تذكير، بل يحسن التركيز على ما يقدم وتوعية السامعين.

ومع خطبة الجمعة.. خطب أخرى:كخطبة العيدين، وخطبة عقود الزواج، وخطبة صلوات نافلة كخطبة صلاة الاستسقاء والخسوف والكسوف، وخطب المناسبات الاجتماعية العامة التي يعرفها المسلمون ويتداولوها.. ثم مواعظ المناسبات الدينية في جميع الأوقات والأزمان..

قد نزيد مثلا بطرح مشروع لتحسين الفوائد المرجوة من هذه الخطب والمواعظ، وعلم في المدارس الشرعية بعض العلوم المرتبطة هذه المناسبات، ونجري دورات للراغبين في تهيئتهم لمثل هذه المواقف بعد أن هرب منها كثيرون، وارتقى منابر المسلمين الجهلة والضالين، وروقبت بأجهزة التنصت خطب الجمعة أو كتب للخطباء، وحتى الأدعية في القنوت عند الشافعية في الفجر، أو القنوت عند جميع المذاهب في الملمات والمصائب.. والتي كثرت كثيرا في عالم المسلمين في هذه الأوقات.

٢- الكتاب:

بعد الهجمة التغريبية في القرن الماضي وما تبعها من أيدلوجيات في الحكم والاقتصاد والسياسية كالوطنية والشيوعية، والاشتراكية، والرأسمالية، والعلمانية، وما تعددت أسماؤها وتوزعت أبعادها، وجد الإسلام محاصرا بين وراثة فترة تخلف من أواخر الخلافة العثمانية، وجهل أتباعه، وانحسار التعليم الإسلامي، وسيطرة طرق التعليم التقليدية في المعاهد والمدارس والجامعات الإسلامية ومنها الأزهر الشريف، وقلة الراغبين وراء التعليم الإسلامي لربطه بالفقر والتخلف والجهل، وانتقاء (المتنورين، والمتطورين، والمستغربين، وخريجي البعثات الأوربية، ومثلهم خريجو المعاهد التبشيرية والجامعات)، ليكونوا الحكام والساسة والرواد في جميع المجالات السياسية والحكم والتبعية، والتعامل مع قوى الهيمنة الأجنبية ومساندهما وتثبيت أركانها، وتحويل بعض المهرجين للعمل الوطني الغير واعي، والذي حوصر في أهداف سخيفة يطبل ويزمر بها، ويرتفع بيد الناس عند دعوته لمظاهرة - عادة يهرب منها - أو مطالبة بالحرية والديمقراطية والدستور والاستقلال والتجزئة، والانفصال ومحاربة الإسلام من غير إعلان.. ومعلن في بعض الأحيان.

وتغليف هؤلاء بغلاف من العظمة والعبقرية والقفز والتميز والندرة، حكموهم فحكموا بغباء وخلفوا لنا خلفة أضاعوا الصلوات وتحكموا برقاب الناس فعاش المسلمون فترة الحكم الذي يعتبر

أسوأ أنواع الحكم على الإطلاق.. امتدت أيدي هؤلاء إلى قتل العلماء وسحلهم، وتقطيعهم وسجنهم، وتشريدهم، وكم أفواههم، ومحوا آثارهم، وللتاريخ أن ينطق بعد طول هذا الصمت المطبق الذي أصابه عن مدى الوحشية والفظاعة والظلم الذي حاق بالمسلمين (الدعاة والعلماء) في فترة الحكم الوطني، في ظل هذا الحكم وتحت مظلته المرقعة والممزقة نبتت أفكار وجدت لها رواجا في فترة من الفترات، وعلم الطلاب في مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم علوما شتى.. إلا الإسلام.. ومع هذا الواقع المرير الذي مازلنا تحت هيمنته بأشكال وأسماء، وعناوين كثيرة، اخترق الكتاب الإسلامي، هذه الحجب بقوة وثبات وامتلأت أرفف المكتبات في كل مكان بالكتاب الإسلامي، وانتشر الكتاب الإسلامي انتشارا عجيبا؛ لم يتمكن الراصدون والمراقبون معرفة هذا السر الذي دفع الكتاب الإسلامي ليتصدر دور العرض ومعارض الكتاب ومنصات الباعة والمكتبات الخاصة والعامة، وتفجرت عبقرية الكتاب ليخوضوا في مختلف نواحي العلم وتفرعاته وتخصصاته الدقيقة.. إضافة إلى إحياء التراث (١) الذي تداول بين الناس وساعد على الانتشار وسائل الإعلام الدقيقة الكاسيت والـ C.D واستفاد الكتاب مع جميع ملحقاته وأجزائه وتفرعاته من أساليب الإعلام والنشر الحديثة.

المسلمون كسروا الحواجز المانعة لانتشار الكتاب الإسلامي بقوة وثبات، ومعرفة، وتنوع، وبذلك فإن الإعلام المقروء وجد لدى المسلمين مكانته ومساراته إلى جميع الأماكن في العالم، وترجم الكتاب – خاصة معاني القرآن الكريم – إلى جميع لهجات الناس ولغاتهم تقريبا – ولحق به العديد من الكتب الأخرى خاصة الإنجليزية والفرنسية – مع تقصير في بقية لغات العالم، كالأسبانية والصينية، والروسية، والإيطالية، مع عدم الجزم بأن هذه اللغات لم تعرف الترجمات – سواء معاني القرآن، أو الكتب الإسلامية الأخرى – مع انتشار المسلمين في جميع أنحاء المعمورة بعد أن تمكنوا من العيش في أكثر دول العالم كأقلية أولى في أكثر التجمعات البشرية كالنصراني أو الهندي أو الصيني..

٣- المسجلات:

بدأت المسجلات بالاسطوانة الغنائية.. ثم بالمسجلات الكبيرة.. ولم يتمكن المسلمون في هاتين الوسيلتين من المنافسة.. لاحتكار ذلك على الغناء والموسيقى، ولغلاء الطريقة، وتعقيداتها، ولكن تمت الاستفادة من مكبرات الصوت للآذان، وللخطب، وللحديث، وللوعظ، وجاءت تسجيلات الكاسيت ليدخل الفكر الإسلامي منافسا شديدا وعنيدا في هذا المجال، وينتشر بسرعة وبكميات جيدة.. لحقه وبأقل قوة شريط الفيديو.. لكن عاود الإعلام الإسلامي استخدام الـ C.D لرخص تكلفته واحتوائه على الكثير من المساحات المطلوبة.. ثم جاء الانترنت ليقتحم المسلمون بمواقعهم

---

(١) في الجعبة مشروع إعلامي حول التراث، نرجو أن يجد طريقه للنور.

الشخصية أو العامة.. أو الدعوية حيزا لا بأس به، ولو أنه لم يرق إلى المقام الذي يجب أن يكونه.. لكن دخل المسلمون المجال في ثبات ويقين ودوام ومثابرة ومتابعة.

باب إعلامي فيه الكثير من الأعداء، والذين هم تطاولوا مستفيدين من التقنيات الحديثة.. لكن الإسلام أثبت مقدرته ووضوحه وأحقيته في البقاء في مثل هذه الأماكن والمواقع والأساليب الإعلامية المنتشرة في عصر الثورة الإعلامية.

لكننا في المقابل يجب أن نذكر بحق، واعتراف المقل بأننا ما اقتحمنا عالم المسرح ولا عالم السينما ولا عالم التلفاز مع المحاولات البدائية في هذا الموضوع.. عن الحديث عن كتابة المسرحيات عند علي أحمد باكثير وغيره، ومحاولات اقتحام السينما.. محاولات الإمام الشهيد حسن البنا مع الممثل حسين صدقي لتأسيس إعلام إسلامي سينمائي.

إن بعض الأسباب منعت اقتحام المسلمين العالم المرئي (المسرح، والسينما، والتلفزيون) منها تأكيدا المحرمات التي سنتحدث عنها تفصيلا في فصل لاحق بعون الله تعالى.

المبحث الرابع

التعامل مع الإعلام

مما لا شك فيه أن المسلمين تعاملوا مع وسائل الإعلام المختلفة من غير تخطيط، أو علم أو رأي شرعي، وهذا ما أوقع الكثيرين في متاهات الإعلام ومفاسده، ووقوع الكثيرين أيضًا ممن يملكون بعض الإحساس بالحلال والحرام – أن يتعاملوا به، ومعه. مع سماع بعض الفتاوى التي لا تستند إلى دليل أو حجة، وإنما من باب ردود الأفعال، وهذا ما يفسر الكم الهائل من الممثلين والممثلات، والمغنيين والمغنيات من إعلان التوبة، وهجر هذا العمل الحرام..! والبعض من التائبين عادوا للعمل ولكن ضمن ضوابط نالوا بها بعض الفتاوى؛ ومن باب الاستحسان فقط، وأنتجوا أعمالا طيبة في مظهرها.. لكنها لم ترق إلى مستوى الإبداع، ولكن من باب سد الذرائع، ومحاولة إيجاد بعض البدائل للأطفال خاصة وللكبار على الأخص، ونطرح هذا العنوان قضية الرأي الشرعي ولو أنه من المبكر هذا الطرح حتى ندخل في التفاصيل، لكن الطرح هذا يتوضح أكثر عن الحديث عن ما هو حرام وما هو حلال.. ونتسائل:

أ – التعامل مع الإعلام حلاله وحرامه قائم، والكل يفتي حسب ميوله ونفسه، ومدى تأثير الإعلام عليه وعلى زوجه وأولاده، أو من هم تحت رعايته عموما.. وكثيرون يفرقون بين الحلال والحرام أو على الأقل المباح، ويحاول بتعامله أن يتجنب الحرام من أن يعرض في بيته بأي وسيلة كانت، كتاب، مجلة، فيديو، منظر أو مناظر من التلفزيون، سماع الأغاني الماجن منها والهابط.

أكد الجميع عندما اختاروا وسائل الإعلام للتثقيف لهم ولأبنائهم أن التعامل مع الإعلام مباح وطالما أن لديه القدرة على الاختيار والتفريق بين الغث والسمين، وكثيرا ما تستباح المحرمات، ويغلب التوجه إلى تجاوز المباحات، بحجة التثقيف والاطلاع على مستجدات العصر، وعدم التأثر بالمعروض الإعلامي وبأية وسيلة كانت، وفي مجال الجدل – وبغير علم وبغير تحديد للحدود الشرعية – يجري التأكيد على وجوب التعامل مع وسائل الإعلام المباحة على الأقل حتى لا نعيش بعصر غير عصرنا، ومجاراة معطيات العلم والعالم، من الإنجازات المختلفة، خاصة بعد أن تمكن التلفاز أن يتنوع بعطائه وتغطية كافة مناحي الحياة.. وكثيرا ما يدس السم بالدسم – ولعل الإعلان الماسح خير شاهد.. إذ يأتي هذا الإعلان الرديء، بعد أي عمل جيد وأحيانا يكون عظيما.. فهل واجب التعامل مع الإعلام اليوم بعطائه الغث والسمين والأولى أكثر وأشد تأثيرا.

لابد لنا أن نعطي رأيا صريحا.. وحتى لا نكتفي بأنصاف الحلول وأنصاف الفتاوى.. ونؤكد بأن التعامل قائم، ولا مناص من الهروب منه كمن يفر من الزحف، وهو من أكبر الكبائر، كما أنه من الواجب أن نحوم حول الحمى نوشك أن نقع فيه.. الخروج من هذه الشفافية، والحدود المتقاربة جدا واجب التعاطي معه بكل ما لدى ديننا الحنيف من عطاء وشمول وواقعية.

ب - ونأتي إلى نقطة ثانية، وهو أن القياس غير وارد في هذا المجال، فمن رؤية رجال من الحبشة يرقصون بالحراب، إلى رؤية نساء يرقصن عاريات.. أمر مختلف جدا وخطير جدا.. ثم إن حدود التلقي شبه مفقودة، إلا في حالات نادرة جدا وانتظارها يطول، ومحطات التلفاز مثلا لم تفتأ تتوسع بالعدد، وغطت اليوم والليل بالبث ودون كلل أو ملل.. كما أن الإعلانات وخاصة في ديار الغرب - تركت الحياء جانبا - وجاءت بأحدث الصور المغرية، والملونة والجذابة للناظرين على اختلاف معتقداتهم.. ووضعتها أمامهم في كل مكان بارز في المدن والقرى وأماكن التسوق وأمام أبواب أمكان العبادة، وتعدوا على دينهم فأظهروا الراهبات والرهبان - وباسم الحرية - في مواقف مخزية والصليب يتأرجح في صدورهم وصدورهن، وهم وهن يأتون بأفحش المظاهر.. تطاولوا علينا.. ولكن من فضل الله تعالى أن من سبل حفظ هذا الدين أن حدهم وصدهم.. واكتفوا بالتهجم على اتباع اليهود والنصارى وبدون رادع من إيمان أو مجرد ارتباط بالقيم، ولعدم وجود مرجعية دينية تبين لهم الحلال من الحرام، بل إن بعض الكنائس مارست ذلك فعلا وكل يوم تطلع علينا الأخبار بممارسات من داخل الكنائس.

النقطة التي نطرحها هنا هل يحق لنا تأييد الإعلام - على إطلاقه - أم فقط نؤيد الإعلام الهادف، ونقر بعجزنا عن إمكانية التمييز أولاً، فكيف يمكن لنا السيطرة على هذه الهجمة الشرسة من الإعلام الذي لم يخجل من شيء، مثله مثل الإعلانات التي يصدرونها عن فتيات جعلوهن دعاية لتحقيق أهدافهم، والنقطة الثانية نقر بأن الوعي سواء عند الآباء أو الأبناء عامل تفلت إلى السعي الحثيث إلى خبث، وربما قضية الإنترنت الآن تحرف جيلا كاملا عن مساره إلى الحق.. كما أن مصادر الوعي التي يجب أن يكون لها دور فاعل.. إنما سدت في وجوهها كل السبل، وشيدت أمامها المتاريس، وغيب الكثيرون في السجون أو أدعوا القبور أمواتا وأحيانا نصف أحياء.. ولم يسأل عنهم وفي وسائل الإعلام أحد.. في الوقت الذي تنشط به جماعات حقوق الإنسان لتدافع عن الساقطين والساقطات، أو تجاوزا عن أصحاب الآراء الملحدة التي قادت إلى مثل هذا الإعلام المشوش، وأخرست في كثير من المواقع والبلدان الألسن أن تدافع عن المتطرفين والمنحرفين والإرهابيين...!؟

ومن ثم.. وحتى لا نهتم بالخروج عن الموضوع - نقول بأن من يؤيدون التعامل مع الإعلام.. بمختلف فنونه ومسالكه - الخير منه والشرير - يدعون بوجوب التأييد والتعامل.. والأخذ بما أمكن من الخير ودرء الشر.. وبقد المستطاع..

جـ - إن الكثيرين من المفكرين والمنظرين والتربويين.. يقرون: أن لا فائدة من هذا الإعلام من مختلف أقسامه وتوجهاته.. فهو قد نبت من منبت سوء.. ومن عقول الغربيين الملحدين.. رغم وجود محطات متخصصة بالتبشير بالديانة المسيحية - أن لا فائدة من التعامل مع الإعلام.. لأنه مصدر الشر وطريق الانحراف، والتغريب، والتثقيف بالثقافات الملحدة الضالة.. فاتخذوا قرارهم بالمقاطعة التامة فأخرجوا من بيوتهم ما يمكن أن يكون أداة للإعلام من راديو وتلفاز وكتب ومجلات.. أقنعوا أبناءهم بالرضا عن هذا التصرف باعتباره حرام قطعا ويمكن أن تكون البدائل بالكتاب والشريط المسجل وتسجيلات القرآن الكريم.. وطبعا ليس لهم على الطريق والشارع والمدرسة والجامعة وغير ذلك سلطان.. فتعود القضية الآن إلى النفس الإنسانية التي يمكن أن تزكي صاحبها وترتفع به إلى مصاف الصالحين المؤمنين، وقد تهوي به إلى مناحي الرذيلة وشهوات الشيطان، ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا (٨) قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[١].

والحمد لله أن هناك جيل استطاع ويستطيع أن يفعل ذلك، لكن ليس هذا هو العلاج والدواء، فإن تمكنت من نفسي، وبعض من لهم صلة بي من أهلي وأصحابي.. لكني أنا هنا وأنتم هنا في موقف الدعاة إلى الله.. المطلوب منهم إيجاد الحلول، والدعوة إلى تزكية النفوس، والعمل على إعداد كل الوسائل الكفيلة بمجابهة هذا العدو الشرس.. الذي تمكن من كل ناحية في هذه الأرض، ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[٢]، واستخدام الجو لنشر هذا الفساد وتنويعه وتوسعه وإيصاله إلى كل زاوية في هذه الأرض، كما استخدمت أساليب التشويق وأساليب الحديث من النفس الشريرة، ودغدغت المشاعر والشهوات ومقاطعته في عطائه المنظور هو الخير كله، لمن استطاع أن يفعل ذلك ويثبت، ومن ثم فإن منع المنكر لا يكفي بالقلب فهو أضعف الإيمان، لكن الأقوى هو "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده... "[٣] كما قال

---

[١] الشمس: ٧-١٠.

[٢] الروم: ٤١.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٧٠)، وأحمد في مسنده في باقي مسند المكثرين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١٠٦٥١)، وابن ماجة في سننه كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٠٠٣).

صلى الله عليه وسلم: "والوسطية باللسان... " كما أفاد المصطفى صلى الله عليه وسلم في نص الحديث الصحيح.

إن الإنكار المطلق مطروح عليكم، واعتقد أن طرحه بهذا الشكل أيضًا فيه شيء من الإحراج، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أكد على أن "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات.."(١) الحديث الذي يترك فسحة لمن لم يعط رأي حازم به.. أو إجماع شامل.. وليس إجماعا مجزوءا من فئة دون فئة أخرى، حتى يهدي الله تعالى علماء هذه الأمة للتفاهم حول موضوع خطير كهذا الموضوع، ونعلم وبكل بساطة.. أن أثر الإعلام – حتى بعض الهادف والمترفع عن السفاسف – قد أورثنا الضعف واليأس والقنوط، والقناعات بما في هذه الأمة الآن من مصائب، كالتناحر، والمواقف السياسية، والمواقف المبدئية، لكم تناحر المسلمون الملتزمون – حول قضية وصلت إلى حد المعرفة بالضرورة مثل حرب اليهود، حرب الأمريكان – حرب الهندوس – حرب البوذيين – حرب المنحرفين... أو دولا أخرى، بحجة المواقف المؤيدة لبعض القضايا الإسلامية المزمنة.. وتحولنا من تبعية هزيلة لما يلقى إلينا من وسائل الإعلام ويقدموه إلينا عن أنه واقع، صحيح، واجب، تأييد الشرعية، عدم الخروج عن الحاكم، والكثير الكثير من الأمور التي شقت صفوف العلماء، وكفر بعضهم بعضا.. وأخطر ما وصلنا وتبنيناه قضية الإرهاب التي لم يكلف عالم نفسه في هذه القضية وإعطائها مفهومها الشرعي.. حيث إن المسلمين جميعًا يتخبطون في مثل هذه المتاهات، والإعلام هو السبب.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه (٥٠)، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٢٩٩٦).

المبحث الخامس

الإعلام.. سلاح ذو حدين

الإعلام مثله كمثل أي سلاح ابتدعه الإنسان في تاريخه الطويل.. وتمكن مبدعو الأسلحة أن يقرروا مصير المعارك طالما أنهم استخدموا سلاحهم الجديد، فاختراع الأسلحة المعدنية، عبر التاريخ كانت تستعمل به الأسلحة الخشبية، اختراع الدولاب.. أعطى المخترعين سرعة الحركة للوصول إلى أعدائهم، ترويض الحصان.. جعل مروضوه أقوى وأسرع، اختراع البارود.

ومن المعلوم أن الإعداد له دوره في تحديد مصير الشعوب المتحاربة من نصر أو هزيمة، وللعلم فإن إيمان المسلمين كان سلاحا خطيرا غير استراتيجية المعارك، ونصر الله جاء على أيدي المؤمنين الذي لم يكن لهم قوة وعدد وعدة عدوهم، والتاريخ شاهد على ذلك، ومازال الذين لم يدركوا سر الإيمان هذا الانتصار العجيب للمسلمين في فترة زمنية قصيرة جدا.. لا تكفي عادة للسير إلى الأرض وصلوها ولو بأحدث مخترعات ذلك العصر.

لكن يجب أن نؤكد بعد ذلك على اتخاذ الأسباب المادية والحيلة والاختراع، وطرق القتال، والصبر على الشدائد، والتحمل.. كل ذلك ما تركه المسلمون للصدفة.. لكنهم اتخذوا لهم أسبابه ومسبباته. واليوم نحن في معركة مع الإعلام الذي انتصروا به علينا ونحن لم نعد له الإيمان، ولم نعد له الأسباب والمسببات ! فنرى أن الهزيمة قد لحقت بنا، كبقية الهزائم المتلاحقة التي نتلقاها كل يوم، وفي كل مكان، وتغير نفوس الناس – الحكومات على الأقل – مالكة أدوات التغيير – تنقلب علينا.. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تداعى عليكم الأمم كما تداعي الأكلة على قصعتها.. قالوا: أو من قلة نحن يا رسول الله؟ – وفاجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سائله بجواب لم يكن يتوقعه إطلاقا – قال: إنكم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ينتزع الله مهابتكم من قلوب أعدائكم، ويلقي في قلوبكم الوهن، قالو: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت.. "(١).

وهذا من تصديق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فلو أننا اخترنا آلاف العلماء المختصين بفنونهم وعلومهم، وطلبنا منهم أن يدرسوا لنا أحوال أمة الإسلام.. وأعطيناهم وقتهم الذين يريدون.. لما خرجوا بغير هذا الحديث الشريف أو بما معناه.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام (٣٧٤٥)، وسكت عنه، وأخرج نحوه أحمد في مسنده في باقي مسند الأنصار من حديث ثوبان رضي الله عنه (٢١٣٦٣)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

والموضوع تشتت أفكار المسلمين، وتوزيع أرائهم، وعدم وحدة كلمتهم في واقع واحد على الأقل، وهو الأقرب إلينا وأشدها ضغطا علينا وعلى دولنا قضيتنا مع اليهود.

لنعترف ونحن لنا رأي، ونحن الذين يحق لنا أن نقول بعلمنا، ونحن الذين يتطلع إلينا الناس؛ بأن نعترف أننا لا نحن ولا غيرنا هيأنا سلاحا إعلاميا - رغم توفر جميع الطاقات - يمكن أن ندفع عن أمتنا هذا الشر الماحق.

ولا ننكر بحال من الأحوال أن ما قدمناه من عمل إعلامي هادف، وجيد - وهو في خضم المعركة قليل —لم نرفق به الإيمان بالله تعالى، الذي نصر الأولين والآخرين مع قلة العدد والعدة. وإنني هنا إذ أتقدم وبكل احترام إلى جميع الأعمال الفردية الإعلامية الهادفة، أو الحكومية التي ربما جاءت ردة أفعال، أو فسحت أجهزة الإعلام الحكومية ووسائلها الباب لعرض الأعمال الجادة.. أقول اعترافا بالفضل بأن المسلمين قادرين على العطاء، قادرين على التسلح بالإيمان، والعلم، واليقين، والعطاء، ودفع الضرر الفكري الخطير عن أفراد هذه الأمة الممزقة شر ممزق.

ثم إن الهروب من أمام الإعلام بخسته ورداءته إنما هو فرار من الزحف، وكما قلنا هو من أكبر الكبائر. دعونا نخلص بكل قوة وصبر وجلد في هذا الخضم، وليس من الضروري أن يكون النجاح دوما حليفنا، والنصر دوما رائدنا، وإنما إن كان بقدر من العطاء المخلص لله تعالى، فإن تأثيره الكبير ونجاح هذا السلاح للمسلمين، وليس عليهم بمقدوره أن يكون بديلا على الأقل عن المعروض أمامنا: أمام أسماعنا، وأعيننا، فإن الهدى هدى الله يجعل — كما هو معلوم - المؤمنين قادرين على التحول، وكثيرون اشتروا أجهزة إعلام من أجل صلاة الجمعة التي تنقلها المحطات الفضائية والإذاعات، أو أنهم أوقفوا أجهزتهم على قناة فضائية مثل (اقرأ) أو الأقل سوءا (الشارقة) أو غيرها.. والمنحرفون بثوا على عشرات القنوات الفضائية.. المنحرفون عقائديا ودينيا، وليس المنحرفون جنسيا، فأولئك قد غاصوا بالوحل إلى أعناقهم.

المبحث السادس

حلة العمل في الإعلام وحرمته

قبل التفصيل في هذا الموضوع، لابد من الوقوف على قضايا الحلال والحرام في أدق الجزئيات في العمل الإعلامي المختلف والمتشعب والمتنوع.

١- هل يجوز الاستثمار في الإعلام؟ الإجابة تتخلص بنوع الاستثمار، وبالجدوى الاقتصادية لأي استثمار، وكذلك الجدوى الإيمانية من وراء دفع الأموال في هذا المجال، بعض الأعمال الإعلامية تحتاج الملايين وبعضها لا يحتاج أكثر من مساهمة بسيطة، فالاستثمار مطلوب أن يكون حلالا، في طريق حلال، وينتج عنه الربح الحلال، أو الخسارة، والاقتصاديون أكثر الناس حساسية في هذا المجال.. فلو وجد الأغنياء فائدة في الاستثمار ومرابح ولو قليلة ما تركوه، وأي استثمار يجب أن لا يخضع فقط للجدوى الاقتصادية والربح والخسارة، ولكنه يجب أن يخضع خضوعا طوعيا لقضايا الإيمان بجدوى التأثير الدعوي - خاصة وأن المسلمين بحاجة إلى نوع من اقتحام العمل، والمغامرة وإيصال الإعلام الإسلامي إلى الناس، كما هو في بعض المحطات.. على الرغم من أن أغنية (فيديو كلاب) تعرض بدقائق تكلف أكثر بكثير من ندوة تضم كبار العلماء تدوم ساعات وساعات، ولذلك نحت بعض محطات التلفزة إلى الاستفادة من هذا الرخص المؤسف لمقام العلماء، فاندفعوا بالاستثمار لقلة التكلفة، وشغل وقت لا بأس به، وجذب العديد من المشاهدين، أما محطات التلفزة التي تستثمر في الغناء والرياضة فإنها تدفع تكاليف باهظة وتربح أيضًا مرابح من وراء ذلك، ولهذا فقد كثر في الآونة الأخيرة مغنو ومغنيات الفيديو كليب وبشكل ملحوظ في كثير من محطات التلفزة العربية، والتي تحولت لتسويق الإنتاج العربي من هذه الأغاني، إضافة إلى الأفلام الغربية الأكثر تشويقا، والأكثر تأثيرا في إعطاء صورة الرجل الغربي - والأمريكي خاصة - بأنه يتمتع بعبقرية فريدة جدا، رافقته المؤثرات الصوتية والضوئية والديكورات إلى مكان لا يصله غيره.

السؤال: هل الاستثمار - ولو كان خاسرا - ضروري؟ أم أن ترك هذا الباب وتشغيل أموال المسلمين بالربا حيث يتلاعب بها ملوك المال والبنك الدولي، ويجعلونها أرقاما وورقا في ساعة العسرة يحجر عليها كلها، و لم تسلم منظمة مثل منظمة حماس من السرقة البنكية التي يمارسها اليهود، ولحقوهم حتى أوروبا واليابان، والبلاد العربية والإسلامية، ورد عليهما الرنتيسي والشيخ أحمد ياسين رحمهما الله تعالى بأنهما وجميع القيادات الفلسطينية في حماس خصوصا وربما الجهاد بأنهم مدينون بأرقام مضحكة ألف وألفان.

الاقتصاديون.. يتابعون حركة المال والاستثمار والشركات والبنوك والأسعار والعملات وارتفاعها وانخفاضها ليل نهار... والإعلام سهل لهم هذه المعطيات، ووضعها أمامهم حتى لا يرتاحوا لا في ليل ولا في نهار.. ومن انهارت أمواله.. فاقرؤوا عليه الفاتحة، فإن لم يصب بالسكتة فإلى إلى المستشفى المجانين ؟!

هل من مستثمر.. تتضافر جهوده المالية والإيمانية مع معطيات الإعلام.. فعلينا الآن أن نخوض معركة إيجاد البدائل، وبعدها يمكن أن نقفز لاقتحام السدود والحصون، وإني من المؤيدين للاستثمار وتشكيل لجنة – شركة استثمارية إعلامية — من الأقوياء، فكل شيء لا نملكه يمكن شراؤه.

في مؤتمر القمة العربي – أي مؤتمر لا يهم – قرر العرب أن ينشئوا محطة تلفزيونية، أو إيجاد مؤسسة إعلامية قوية ورصدوا لها مليون دولار، ووضعوا على رأسها (حنان عشراوي) فلم يصرف المبلغ، و لم تنشأ المؤسسة الإعلامية، و لم نر هذا العمل حتى الآن قد أنجز، في وقت رصدت إسرائيل عشرين مليون دولار لإنشاء قناة إسرائيلية عربية تخاطب العرب وأنشئت المحطة.. وبعد ثلاث سنوات، راجعوا حساباتهم ووجدوا أن التأثير المطلوب لم يحدث مما قالوه أو عرضوه في هذه القناة – لمن يتابع برامجها – تقول وشارون يفعل، وبين الأمرين بون شاسع.. أرادوا إغلاقها، والاستعاضة عنها بقناة أمريكية لتحسين صورة الأمريكي المشوهة الذي بدأ يحتل العالم الإسلامي بأسباب وبدون أسباب، فلعلها تبيض صورة المستعمر الجديد الذي احتل أرضنا، ويهدوا الآخرين ممن نصبهم حكاما قطعوا أعمار الأمة وقطعوا أوصالها بالتهديد الإعلامي الدائم، وهو بذلك يقويهم ويرسخ موقعهم ويبحث عن الورثة من الأبناء إذا مات فجأة الآباء العجز؛ الذين حكموا عالم المسلمين والعرب أكثر من نصف قرن. وأنشئت محطة (الحرة) لتبث من بلد احتل بالقوة العسكرية (العراق).

إذا فشل العرب بمساندة قضيتهم الرئيسية بالإعلام، فمن يجرؤ على الاستثمار فيه... ؟

٢– هل يجوز بذل جهد تطوعي لعمل أو أعمال إعلامية؟ من باب التشجيع عند فقدان أصحاب المال والمستثمرين، كالمساهمة بقصة أو مسرحية أو نص أو شعر، أو لقاء أو أي موضوع آخر يمكن أن يؤدي فائدة ما لهذه الأمة؟ هل يؤجر من يفعل ذلك؟ وهل يمكن له أن يدفع الآخرين ولو للتبرع، كالتبرع لبناء مسجد أو مستشفى أو مؤسسة خيرية، أو شق طريق، أو دفع أذى عن المسلمين.. هل يمكن أن يتطوع بكلمة أو حديث أو ندوة أو محاضرة مجانية؟ فيؤجر، أم أنه يكون كمن يؤيد مضرة تصيب الأمة.. فوق الأضرار والمصائب الكثيرة التي تتزل على رأسها كل يوم، هل المساهمة من أموال الصدقات أو الزكاة في مجال الإعلام مباح؟ خاصة بأنه لا عمل بدون مال؟ أم النصرة من هذا المكان أو هذه المواضع أسلم وأحل؟ ولندع الأمر ونطلب التأييد للأعمال الإعلامية في أقوالنا وأفعالنا، وأحاديثنا ونشجع القائمين ونؤيدهم ولو بالكلمة طالما أننا نحصل على الاستثمار أو التبرع؟ هل مجرد

التأييد يمكن أن يريح ضمائرنا، وحتى لمن ينوي النية الحسنة لعمل إعلامي قد يكون معجونا ومختلطا مع أفعال محرمة أصلا؟

التأييد فقط ولو بالجنان! والسكوت عن العطاء الإعلامي، والدفاع عن بعض المحطات التلفزيونية التي تعد وتحصى.. إذ أن الاستثمار - غير المباح - في هذا المجال قد طغى طغيانا فاحشا في عالمنا وخاصة تلك العروض التي يختلط بها السم بالدسم، وأكرر هذه المقولة لأنها التعبير الأدق لمن استثمروا بالإعلام في عالمنا العربي والإسلامي.. تؤأمين (اقرأ، وقنوات ART) المتعددة التخصصات والمنوعات المختلفة التي يندى بها الجبين لرؤية برامج بعضها.. التوائم الأخرى (العربية، MBC٢) ثم اللقطاء اللواتي تنوعت أسماؤها وتبث على نيل سات، وعرب سات.. ونقلت لنا بكل سذاجة وسخف وبلادة الإعلام الأمريكي برمته.. من أفلام ومسلسلات، وأغاني راقصة، تطوعا من عند أنفسهم، لخدمة الإعلام الأمريكي التي تكفل أن يغزو العالم، والعالم الإسلامي خصوصا والذي ارتأى الآن أن يمحو من عقولنا كل القيم الإسلامية، والأخلاق، والتعامل، وتعميق العداوة والبغضاء في نفوس الشعوب وإلهاب أحقاد الحكام على شعوبهم، وتصوير الكثير من هذه الشعوب ليست عدوة فقط ولكنها أعدى الأعداء - تحت مظلة الإرهاب الثانية -.

إن كان هناك فوائد مادية في الإعلام العربي والإسلامي الآن، وبعد أن تحولت تلك المحطات بجملتها إلى دور عرض للإعلام الغربي.. قد أبعدت الشعوب العربية والإسلامية عن الأصول والجذور والقيم الخلاقة؛ فإن فائدتها المادية قتلت - وتطوعا - كل قيم الإيمان.. ومن المبهورين والمستغربين نأخذ كلمات التأييد المطلق لهذا الإعلام والذي يساهم في تمازج الحضارات، والاستفادة من منزلة الإعلام الغربي المتطور، فهل لهذا التأييد وبتلك الحجج الواهية من مثوبة عند الله؟ ونحن نجر كالبلهاء وإلى عالم مالنا فيه إلا الضلال والضياع والضباب؟!

هل التأييد هذا نحاسب عليه؟.. أقر بنعم! إلا أن يتداركنا الله بلطفه، ويهدينا سبله، وتجتمع قوى الخير من مختلف الاتجاهات المادية والمعنوية والإيمانية، لنبدأ نعطي إعلاما نغزو به أفكار أولئك الذين تمكنت منهم النفس الشريرة والشيطان والهوى.. فأضلتهم عن الحق.. إلا في باب يمكن أن يعطينا معرفة علمية وأسرار كونية، واختراعات خلاقة، وإبداعات إنسانية.. لم نتمكن نحن حتى الآن من تصوير سمكة في بحر، ونكتفي بتصويرها أسيرة في حوض أسماك.. في الوقت الذي اخترق الإعلام الغربي آفاقا.. ما عرفناها ولا عرفوها إلا بواسطة إعلامهم.

٣- هل نثاب بالاعتزال؟ وإغماض العيون؟ وإدارة الظهر إلى هذا العطاء الضخم والكميات الجبارة؟ هل إدارة الظهر هو الخلاص من الخطيئة بالتعامل مع هذا الإعلام؟ هل إغماض العيون عن الشمس يكفي لأن تزول عن الكون؟ وهي مصدر الحياة بكل تفصيلاتها وجزئياتها؟ استوقفني في هذا

المقام معرفة علمائنا لواقعهم، ولعلمهم سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في خضم المعركة بين المذاهب وقتها قادها الجهلة والمتعصبون تأييدا ورفضا عن الإمام الشافعي رحمه الله. والسؤال جاء من خصوم الإمام الشافعي فقال: إنه شمس الدنيا ونور الحياة، بعلمه ومكانته وأخلاقه وفضله.. ونحن هنا لا نقيس هذا على ذاك لأن الإمام الشافعي وابن حنبل رحمهما الله تعالى، وأحسن مثوبتهما انطلقا من منطلق واحد إلا وهو الإيمان والإسلام.. غايتهما إعلام الناس بدينهم، راجين مرضاة الله تعالى فقط.. أما هنا فليس المصدر الإعلامي إلا من مكان واحد مادي مشترك ضال، مضل.. ولكن فيه بعض العلم العميق والمفيد؛ ولا نراه إلا في وسائل الإعلام.. فهل الانعزال مثوبة. ونحن نسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها" فلا تفوتنا الإبداعات التي وصل إليها الإعلام الغربي من اكتشاف مجاهيل الدنيا.. والكواكب والنجوم والفضاء.. ألم يتحقق قول الله تعالى: ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾(١)، فجاءنا النبأ من إبداعات الإعلام الغربي في هذا العصر، وقد يأتينا النبأ أو يأتي الأجيال القادمة بوسائل لا ندري عنها ولا نعلمها. الله تعالى أعلم والذي علم الإنسان ما لم يعلم..

نحن بحاجة إلى فتوى.. ماذا نأخذ؟ ماذا نترك عمن نأخذ؟ عمن نترك؟ والأخطر فتوى المتشابهات في هذا الموضوع الحساس..؟!

إن القائد الذي يقود جيشا ليحارب عدوا.. وجاءه العلم بقوة جيش الأعداء، وبأسه، وتسليحه، وفنون القتال عنده، وإمداداته.. ويتجاهله بعد ذلك فإنما جاء بجيشه للفناء، وليس للقتال.. ألم يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدد جيش قريش في بدر بعدد الذبائح التي يذبحونها كل يوم.. ألم يعلمنا المصطفى صلى الله عليه وسلم أن لا نكون إمعة (٢).. نخطئ مع المخطئ ونصيب مع المصيب؟ إن هذه الحالة غير طبيعية البتة، وموقف أمة الإسلام بحكامها وأغنيائها، وعلمائها وأصحاب الرأي والمشورة فيها، يجب أن لا يكون بهذه السلبية المطلقة.. فدعاؤنا المكرر في كل وقت وآن (اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه).. آمين.

---

(١) ص: ٨٨.

(٢) وهو الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه بلفظ: "لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا..." وقال: هذا حديث حسن غريب، كتاب البر والصلة باب ما جاء في الإحسان والعفو (١٩٣٠)، وقال الألباني في المشكاة (٥٠٥٧): إسناده ضعيف وقد صحح موقوفا.

المبحث السابع

على بساطته.. ما مدى تأثير الإعلام الإسلامي؟

يمكن أن نخرج في الإجابة على هذا العنوان من منظور الأثر الذي نتلمسه في الناس سواء المسلمين وغير المسلمين.. الملتزمين، وغير الملتزمين.. الأعمال المتفاوتة من الطفولة إلى الشباب إلى الرجولة.. إلى أرذل العمر.. من جراء تعاملها مع ما يمكن أن ننعته بالإعلام الإسلامي.

١- خطير.. ما مدى خطورة الإعلام الإسلام على نفوس الناس؟ خاصة وأننا قد وصلنا إلى إيجاد بعض التخصصات المطلقة.. والتخصصات المختلطة.. والعموميات في مختلف وسائل الإعلام.

هل أدى الإعلام الإسلامي وظيفته في جميع الشرائح البشرية؟ أم أن أثره لا يتجاوز زمن رؤياه.. من خلال متابعاتي لأطفالي عندما كانوا أطفالا، والآن هم في طور الشباب والرجولة ثم متابعة أحفادي وهم في طور الطفولة والشباب عن مدى تأثير الإعلام في نفوسهم، أستطيع أن أقرر بأن منتجات الإعلام الإسلامي المرئي والمقروء كانت خطيرة.. ولا يعني هذا التعبير على إطلاقه.. فمفروضات أخرى كانت في نفوسهم أكثر خطورة، كالألعاب التي أصبحت جزءا من عقولهم وتفكيرهم — وبالمناسبة أنا أرتكب بعض المنهيات، ولنقل المحرمات.. وأرجو من الله المغفرة، قد أدخلت إلى بيتي وسائل الإعلام على اختلافها في طور مبكر جدا.. سواء آلة عرض وتصوير سينمائي أو تلفزيون (أبيض وأسود) ثم (ملون) ثم (كمبيوتر) ثم (الدش) (الديجتال) وعايش هؤلاء الأبناء والأحفاد التعامل مع هذه الأجهزة، ونسمها (الوسائل) منذ نعومة أظفارهم حتى كبروا، وهي في بيوتهم الآن فالأولاد والبنات تزوجوا.. وخلفوا.. والبعض دخل في مجال العمل الإعلامي من أوسع أبوابه.. بعضهم في وكالات الأنباء، والبعض في الفضائيات، وأنا كان عملي محدودا جدا ولكني أتابع واطلع.

المهم أن تأثير بعض الأعمال الإعلامية الإسلامية كان خطيرا على الأطفال.. أحفادي ولم يتجاوزوا العاشرة من عمرهم قضوا أوقاتا طويلة يكررون بها رؤية فيلم محمد الفاتح.. حتى أني لاحظت طفلة في الرابعة من عمرها تتابع هذا العمل وخرجت من حجرة الرؤيا وغابت.. ومازال الباقون يشاهدون.. واقتربت مرة أخرى، وكأنها تتابع في مخيلتها ما فقدت رؤيته بعينها فسمعتها تحدث أمها وتقول.. سيفعل ذلك محمد الفاتح الآن، ونطقت بالكلمات التي حفظتها عن ظهر قلب.

الأعمال الإسلامية الهادفة لها تأثيرها الخطير جدا على الناس، أناس اشتروا أجهزة تلفاز من أجل قناة (اقرأ) رغم الملاحظات الكثيرة حولها - لتكون متخصصة فقط بالعمل الإسلامي.. تماما كقنوات

الاقتصاد.. أو الرياضة.. أو الأفلام.. وإنا لله وإنا إليه راجعون - كثيرون في بيوتهم مكتبات كتب وأشرطة تسجيل، وأشرطة فيديو، وسيدهات للإنتاج الإعلامي الإسلامي - هذا على بساطة الإعلام الإسلامي وعدم وصوله حتى الآن إلى مجرد المجاراة للإنتاج الإعلامي العالمي.. عدا عن الإبداع والتفوق عليه، نقول: إن الإعلام الإسلامي إذا تحول إلى عطاء جاد صحيح، متميز، مؤثر، صادق، فإنه سيكون أخطر ما يمكن أن يكون في هذا العالم.

في مؤتمر إعلامي.. وقف منتقد في هذا المجال وقال: إننا ما تركنا من حيل الإنسان وإبداعاته وعبقريته شيئًا إلا وحولناه إلى إعلام متفوق مبدع.. وما كان تأثيره حتى الآن.. كتأثير ذاك الرجل الذي خرجت دعوته من صحراء العرب من غير أي وسيلة إعلامية، أو أداة مساعدة، أو دعاية مشوقة وامتد إلى جميع أنحاء الدنيا.. ولم نبلغ ولا جزء من مئات مئات مما وصل إليه ذاك المبدع تأثيرا في نفوس الناس، إلى هنا ويعلم ذاك المحاضر.. بأن الإسلام محفوظ من الله تعالى بقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١)، فلتكن وسائل الإعلام أيها المسلمون أدواة حفظ هذا الدين، وهذا الذكر. إن مكتبات كاملة من الوسائل الإعلامية الآن تملأ بيوت المسلمين، ويستثمر ويربح بها الكثيرون وفي جميع أنحاء العالم، الإعلام المسموع الآن لبعض الدعاة وصل إلى مرحلة تأثير خطيرة.. مع قلته وندرته.

٢- إن بعض الإعلام ضعيف التأثير في نفوس الناس، إذا اتسم بالخطأ والغلط، والتكلف، واللهجة الخطابية الوعظية الدائمة التي طغت على أعمالنا الإعلامية، فالطفل الذي يجب أن يخترق أعماق الفؤاد في موقف يحولونه إلى واعظ أو خطيب.. فيفقد كل تأثير، بل العكس بعض المواقف تدعو للسخرية.. وذلك لأننا لم نتعلم بعد التعامل مع المؤثرات من الصوت والضوء والتمثيل والأداء وغير ذلك.. وتنعكس هذه الأعمال على نفوس المتعاملين مع الإعلام فيتحولوا عنها لمجرد حضورها أمام أعينهم، أو أسماعهم.. وهناك الأعمال التي تود أن تشوه الإسلام وتشوه أفكار معتنقيه وهناك بعض الذين يأتون للمشاهد المسلم من أحلى المواقف.. كالمذيعة المحجبة الملتزمة.. أو الداعية العارية في مواقف التستر.. وإننا في هذا المجال نلوم أجهزة الإعلام في جمهورية مصر العربية التي تقدم الإسلام لنا من امرأة مستهترة، أو من ممثلة لدور امرأة فاضلة — حاسرة الرأس — أو راخية جدائلها على صدرها ليرى شعرها، أو واضعة غطاء على الرأس والجسد شافا شفافا وتغني وتمتدح الرسول صلى الله عليه وسلم، أو تبتهل إلى الله جلت قدرته بأشعار ومدائح وأدعية مؤثرة، وهي في موقف غير مشرف وصورة خاطئة تماما، أو الذين يصورون جميع الأعمال الإسلامية من مسلسلات وأفلام، وسهرات

---

(١) الحجر: ٩.

كلها مبنية على الحب، وأحيانا على الحب الحرام المسروق من وراء ولي الأمر.. أب أو أخ أو محرم أو حاكم.. لينتهي المشهد إما بالزواج أو الفراق بالموت تضحية لهذا الحب الذي دار عليه الفلم الإسلامي أو على الأقل الذي يحمل اسما إسلاميا.

إن هذا الضعف يقابل قوة الهجوم على القيم الأخلاقية في التأثير.. فكلاهما يضعف النفس أمام هذه العروض التي تودي إلى الابتعاد على الأقل عند الذين يملكون الغيرة على دينهم أو يعرفون مجريات الأمور وشيء من التاريخ على خلاف ما عرض على وسائل الإعلام.

المبحث الثامن

هل يمكن إيجاد إعلام إسلامي؟

الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى إيجاد الرغبة بوجود مثل هذا الإعلام.. ومعرفة أهدافه، ومعرفة مكانته، وموقعه، وقوته، وتأثيره، وجدوى القيام به للمحافظة على أخلاق الأمة وقيمها وتميزها وحتى لا تكون صورة مشوهة للآخرين، في التبعية.. والدخول في جحر الضب..!

إن الإيمان الراسخ واليقين التام بالله أولاً، وبأن هذا السلاح ذو تأثير فعال، وذلك لعدم وجود البدائل.. ولعدم التمكين من أسلحة أخرى ندفع بها عن أنفسنا.. بعد أن حرمنا وبقرارات دولية يرأسها مسلم اسمه (محمد البرادعي) من امتلاك أية أسلحة ذرية.. أو على الأقل أسلحة تدمير شامل.. والمسلمون لو عرف الناس.. لا يستخدمون أسلحة الدمار الشامل إلا للردع النووي كما عرف بهذا الاصطلاح وللتخويف أكثر من الاستعمال.. لأنهم خلفاء الله في الأرض وما أمر الله أن يقتل الناس جميعًا دون ذنب، وإنما نقاتل المقاتلين ولو كانوا في بروج مشيدة ووراء جدر.. وزراء الإعلام في جميع الدول الإسلامية أيدوا (محمد البرادعي) لمنع استخدام السلاح الإعلامي في وجه الهمجية الغربية المتمثلة بالنصارى واليهود والهندوس – والذين يملكون أيضًا الأسلحة النووية، ولا يخدش لهم حياء ولا تكلمهم هذه الطاقة الذرية.. وأخشى ما أخشاه أن يعود.. هذا.. إلى بلده مصر ليفتش بها عن أسلحة الدمار الشامل كما مارس ذلك قبله بعض الزملاء المكلفين برعاية الثقافة والإعلام ففتشوها وأفسدوها، وساروا في غيهم حتى بدأت تنفلت من أيديهم الطاقات الإعلامية الفاعلة والمؤثرة من الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات.

الإيمان هو السبيل للعطاء ويمكن لنا أن نقدم باختصار كل الدعائم المرجوة لتقديم إعلام هادف.. مؤثر.. فعال.

فمن جهة التمويل المالي.. يمكن أن نسخر – كأغنياء – أموالا تتضاعف وتنمو – كمتوسطي الحال – بالمشاركة ووضع الأموال تحت تصرف الشرفاء للاستثمار الحلال – وكفقراء – نركز تأييدا على ما يقدم إلينا ونقهر بمقاطعة الإعلام الهابط الذي وصل إلى حد القرف والغثيان، على الرغم من المرئيات من تماوج الشباب والشابات في المسارح العائمة المشتركة – المختلطة – ومشاركة المطربات والمطربين – وهذا أكثر – في شخيرهم، وتنطعهم، وأصواتهم الغريبة المنكرة في تأوهات وتنهدات.. ليس لها مغزى ولا معنى.

في المادة المكتوبة رصيدنا ممتلئ، وعقولنا نظيفة، فإنما صك العقول مع الرصيد، ونخرج كلاما حتى في الحب مقبول (فالحب لم يجد له مرتعا خصبا وانتشارا إلا في عهد الصحابة رضوان الله عليهم وشعراء الحب والغزل كانوا يعايشون الصحابة ويعرفون الحدود والقيود.. والحلال والحرام) أما الآن فلا ندرك إلى ما حرم حتى في أداء بعض الأغاني الدينية. فالمادة المكتوبة نغني بها هذا الباب ونتحفه بالجيد من القول والفعل.

نحن لم ننافس بعد بالوسائل.. و لم نستثمر بعد بصنعها وتطويرها.. ولكن سخرت أموال باهظة بتسويقها وشرائها وبيعها.. دون تفكير بالمضمون.. أو بالأثر سواء المادي أو المعنوي. وكتبت رسائل وكتب وبحوث بجدوى استهلاك التكنولوجيا ومراميها.. فأصبح في كل بيت أكثر من آلة تسجيل، وأكثر من تلفاز وأكثر من أدوات كهربائية.. مساعدة لهذا.. وبعضها قد لا يستخدم البتة فيموت وهو حي بدون حركة. نعم قضية المساهمة بالوسائل.. تحتاج إلى تطوير وما أمسكنا أو خيوطه بعد، فكيف إلى ما وصلوا إليه الآن؟

وضعفنا المشين في العاملين في الإعلام – من الفنيين خاصة – وهؤلاء ما سار المسلمون في الطريق إليهم، أو أنهم فكروا بتعليم أبنائهم هذه الفنون، فيتخرج مئة طبيب، وألف مهندس ومحامي، ومدرس، ولا يتخرج إعلامي واحد، أو فني واحد.. هذا المجال مغلق.. أو شبه مغلق الآن، لكن لابد من الدخول فيه واقتحامه ومعرفة أسراره وخباياه.. وهذا يحتاج إلى مدارك أخرى. أن يتعلم أبناؤنا ليجدوا عملا في تخصصاتهم، تمنعهم من التخلف حول المهنيين الآخرين من الأطباء والمهندسين والمحامين لتقدم عمالة باطلة عن العمل في مجال الإعلام، فالآن لا يوثق إلا بمن ثبت فهمه، وجربت صنعته، ويتخاطف التلفاز كل يوم المذيعين والمذيعات.. والمعلقين وغيرهم ممن حسن أداؤهم، وجربت أعمالهم، والحاجة ماسة جدا إلى شغر آلاف الوظائف في الفضائيات الجديدة، وعندما لا تجد هذه الفضائيات من الخيرين من يلبوا طلبها.. تملأ وظائفها بغيرهم.. وبذلك فمن الواجب تعلم أسرار هذا العلم، ومعرفة فنونه والإحاطة بمفاهيمه ودوافعه.

ويلحق بهذا الاستفادة من الآخرين.. مخرجين، ممثلين، مذيعين، فنانين، وتعريف الأعمال التي تظهر عادة في الأفلام والمسلسلات وتعرض علينا بنفس أسمائها الأجنبية، ليمكن من معرفة حدود هذه الأعمال مثل، ريجسير، ديكور، إضاءة، صوت، تأثيرات، مكياج، مفروشات، أزياء، مصففي شعر.

إن الاستفادة من الخبرات الأجنبية عند بناء إعلام إسلامي ليس فيه حرج، طالما أن هؤلاء لا يخرجون عن النص الذي من الفروض عندنا أنه من وضعنا ومن إنتاجنا نحن المسلمين الدعاة، الملتزمين بإسلامنا وديننا، وسمعت رأيا لأكاديمي – أستاذ في مادة علوم القرآن – تعليقا على العمل الهادف

(عمر المختار) الذي تمكن مخرجه أن يستفيد من طاقات الآخرين، قال: لو أن خمسين مدرسا للتاريخ الإسلامي أدوا الحديث عن عمر المختار بتفوق وانتباه من السامعين ما أعطوا ما يوازي تأثير الفيلم ولا واحد على خمسين مما أداه هذا الفيلم.. ونستطيع أن نقول بأن النسخة الإنجليزية أكثر وأشهر العاملين بها من المستأجرين لذلك. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى.. يمكن لنا شراء الإبداعات العلمية والتعليمية والاختراعات والاكتشافات وبالشكل الجيد، فإن هؤلاء جاهزون لبيع نتاجهم، وجاهزون لتأجير خبراتهم، طالما أن هناك من يدفع، ويقومون بالأعمال المطلوبة منهم بكل جدية وإخلاص، وأرجو أن يكون لهذا الرأي دراسة موسعة للذين يرغبون بالعمل في الإعلام.

المبحث التاسع

العمل في الإعلام.. حرام

كنت قد كتبت في فترة تدريسي لمادة الإعلام استبيانا أوزعه على خمسين عالما على الأقل استطلع رأيهم في القضايا التالية.. وذلك استئناسا برأيهم وفقههم.. و لم أرسل هذا الاستبيان لأنني حصرت موضوعي وقتها في الصحافة.. أكثر من التطرق إلى العمل في المجالات الإعلامية الأخرى، الأخطر مثل المسرح والسينما والتلفاز والإذاعات.. وغير ذلك وجاء الوقت المناسب لإعادة طرح هذه القضية عليكم.. لعل الله تعالى يهدينا للأقوم والأحل وهذه القضايا على خطورتها سأوردها باختصار شديد.

١- المرأة.. ابتداء صوت المرأة عورة من أي مصدر خرج.. و لم أجد بإطلاعي المتواضع على رأي غير هذا.. والعورة حرام كشفها.. أو إحداثها.. فما هو الحل الحلال لعمل المرأة من جهة وصوتها من جهة أخرى؟ حتى ولو كان العمل إسلاميا وبين المسلمين.

ثم: إن هناك دعوات جادة الآن، وربما تكون الأقوى - مع الاختلاف - أن وجه المرأة عورة وكفيها.. ولو أنه ليس هو الرأي الراجح لكنه رأي مدافع عنه، والذين يأخذون بالعزائم يقرونه وبلاد إسلامية كثيرة الآن لا تُري وجه المرأة.

ثم: إذا طلب من مسلمة أن تمثل دور امرأة جاهلية — عليها أن تتعرى في بعض المواقف، وتتزين وتظهر حاسرة الرأس، حتى ولو جئنا لعملنا بامرأة غير ملتزمة تقبل مثل هذا العمل فإن ذلك فيه حرج وشبهة أيضًا يدخل مداخل التحريم أو على الأقل مداخل (الإكراه المتدرج)، هل لنا أن نقر أن المرأة تعمل فقط في حدود الأخبار (مذيعة) الوعظ والإرشاد عمل البرامج الدينية الهادفة.. إدارة ندوات وهذه كلها تعمل الآن وبشكل جاد في كثير من الفضائيات الإسلامية وغير الإسلامية.. فما هو حكم الشرع في حدود الصوت، الصورة وعادة يتم اختيار المحجبات الجميلات.. فإذا كان الولد الجميل عليه أن يتحجب فكيف بالمرأة الفاتنة التي تغطي شعرها وترسم على وجهها الجميل أصلا خارطة آسيا ببحارها الملونة جميعًا من الأسود إلى الأحمر إلى الأبيض إلى الأزرق (التعبير مستعار من شيخنا المرحوم بإذن الله تعالى علي الطنطاوي) علينا وأنتم أهل حل وعقد وإجماع أن تجيبوا على كل الأسئلة المتعلقة بالمرأة بأية صيغة، ومن أي رأي.. فإن العمل الإعلامي بخطورته الآن وبنسبة تفوق النصف وزيادة قوامة المرأة في مختلف أشكالها وألونها وحتى أعمارها من فتاة صغيرة إلى امرأة عجوز دخلت مداخل (القواعد من النساء).

المرأة فقيهة.. ويعترف بالفضل لمن أرخ لهن، وحتى من تركن لعدم الظهور أو الاختلاط، المرأة في الإسلام.. لن تكون قاضية (ولا على سدة الحكم.. ومر وقت على المسلمين ثلاث أرباع حكامه المطلقين – من النساء – في تركيا وباكستان وبنغلادش وأندونسيا، وهذه البلاد تفوق النسبة التي ذكرت.. المرأة محامية نعم أعمال أخرى.. ووزيرة تنفيذ – عفوا لاستعمال تعابير فقهاء الإدارة المسلمين وليس وزيرة تفويض مع أن المرأة – ضمن القوانين الوضعية – برعت في الثانية.. وأدت عملا في الأولى..، موضوع عمل المرأة في الإعلام مطروح برمته للنقاش عندكم، وجزاكم الله خيرا.

٢– الموسيقى.. مازال الجدل حتى الآن حلة الموسيقى أو حرمتها.. وحتى الذين يتكلمون في وسائل الإعلام.. تصدح الموسيقى معهم أو قبلهم أو بعدهم.. وحتى الأناشيد الدينية التي تؤدي الآن مع جميع أنواع المعازف.. والدف المباح.. أقل استعمالا في وسائل الإعلام الإسلامية، أو الذين يقولون أن عملهم إسلامي، الأوتار، والجلود، والنحاسيات، وأدوات النفخ، وكل الآلات الحديثة تستعمل على جميع الآراء التي تقول بحرمتها.. فالموسيقى الآن ترافق كل عمل مسموع أو مرئي..، وحتى أرادوا أن نسمع ونحن نقرأ.. ولحن مارسيل خليفة سورة الفاتحة.. وكل هذا ونحن لم نضع وقرا في آذاننا أو قطنا على الأقل.. بل نسمع.. نقنع أنفسنا بأننا صم بكم.. لا تؤثر فينا موسيقى الجاز أو الموسيقى التي تستخرج الشهوة من جذورها في جسد الإنسان.

٣– التشخيص.. أي انتحال شخصية أخرى.. حرام (لأن الانتحال والقيام بدور هذه الشخصية الحقيقية أو الوهمية إنما هي غيبة) والغيبة حرام.. والحديث بما في هذه الشخصية أو اختلاق كلام عنها، أو إضافة أو حذفا فهو حرام.. وتمثيل الأموات، نوع من الإحياء.. وهذا حرام.. وكل هذا يجري الآن ولا يستند إلى أي أساس شرعي.. وأخبرونا حفظكم الله عمن أفتى في هذا المقام على الأقل للمنافسة، نقل القول فيه شبهة فكيف بالتشخيص المطلق والحديث وتغير الوجه لقرب التشابه، ومحاولات التقرب من الحقيقة ما أمكن.. كل هذا فيه حرمة، وفيه حرج واستخلصوا حفظكم الله رأيا شرعيا للذين خاضوا في هذه الأعمال ومن المسلمين الذي أظهروا لنا الأحياء والأموات في أعمالهم الفنية التي ملأت الرفوف المخصصة لها وفاضت وتباع الآن ربما على ناصية الطريق.

٤– التصوير.. التصوير الجامد محل جدل بين العلماء وحتى الساعة، وتسامحوا بالصور الصغيرة لدلالة الشخصية والصور المهانة للأطفال وأية صورة لا تتحرك إذن تبث فيها الروح، وغير ذلك مما حاول العلماء التسهيل وللضرورة القصوى، فكيف الأشخاص بأحجامهم وأشكالهم، مختلف حركاتهم وتحركاتهم وأكلهم ونومهم وتغطيتهم وتأوهاتهم وبكائهم.. أي نقل الحقيقة كلها لتصبح صورا ومشاهد، وليس للضرورة أو لإثبات الشخصية، أو للتعريف.. أكبر من الحجم وأصغر من الحجم ذاته ومن جميع المساقط والمشاهد والزوايا والألوان بإضافاتها وتحليلاتها وما ينبثق عنها من ألوان

جديدة، كل هذا يشاهد في السينما والإعلان والتلفاز والإنترنت، وكان العجب لصورة من القرون الوسطى من دقة التصوير فيها.. تكاد تنطق – لكنها الآن نطقت وتنطق وتطلق نبرات الأصوات بحدتها وجمالها وثجها.. فأين الحلال؟ وأين الحرام؟ في هذا الذي نقول.

٥- الكذب.. لعل أكثر ما يقدم الإعلام كذب.. حتى في الأخبار فإنهم يكذبون من أول النشرة إلى آخرها وبإصرار وترصد، فالأفلام كذب لم تحصل.. وإن كانت تدور حول شخصية معروفة فإنها أيضًا وبكل بساطة تكذب، حتى عن الأحياء، فالكذب يتردد على لسان المتجادلين والمتناظرين والممثلين والمرددين حتى المغنين فإنهم لا يعشقون وقلوبهم مقفلة و لم يثبت عن مغن واحد صدق بكلامه وتزوج تلك التي يحب.. ويردد لها الحب.. ويكرر دائما.. عدا عن تشويه التاريخ والحقيقة.. وينطبق قول الذي قال يوما من الماضي:

سمعنا بأمر الحاضرين فرابنا فكيف بأمر الغابرين نصدق

انظروا في هذا الأمر وأحلوا لنا الكذب المحلل في الإصلاح فكيف وكله ينطق بالفساد؟ وغير هذا من المناظر المؤذية وتمثيلها، والتكشف والعرى والشجار والتصالح والبيع والشراء، وغيرها وغيرها.. كلها تستظل بظل الحرام.. إلا إذا كان لدى الأفاضل رأي غير ذلك من فأنا أول من يقبل به.. قياسا أو إجماعا أو اجتهادا.. فالمطلوب الدخول بمثل هذه الأعمال، وتجنب هذه المفاسد.. أو البحث عن عطاء، صادق خير.. لا كذب فيه ولا تشخيص.

المبحث العاشر

العمل في الإعلام.. حلال

إن المساهمة في نشر الفضيلة وتعميمها، ونشر هذا الدين مطلوب، واستخدام الوسائل المتاحة واجب، هذا طريق يرغب ويوجب أحيانا تجاوز بعض الخلافات التي مازالت محتدمة بين الفقهاء والعلماء وأصحاب الرأي.. والمطلوب اتخاذ الرأي المناسب لدفع هذه الأعمال إلى الواجهة، لتكون متراسا ومخبأ لنا لندفع عن أعيننا وآذاننا ما يخدش حياءها وفضائلها، ويربح النفس للسماع أو الرؤيا.. ويعلم أن سلاحا ما في وجه هذا الطغيان قد شرع.. فالكتاب والشعر والنثر والخطب والوعظ والرسائل والمرئيات المريحة.. في ذاتها حلال فأكثروا منها.

ثم تخضع الأعمال الأخرى للرأي والمشورة الشرعية وهي التي تقول هذا حلال وهذا حرام.. ومن هنا نذكر بهيئات الرقابة الشرعية.. عندما فكر المخلصون بتخليص المال في البنوك من الربا المنهي عنه بغير خلاف وهو من الكبائر التي هدد الله تعالى المتعاملين به بالعقاب في الدنيا والآخرة.. ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾⁽١⁾، ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾⁽٢⁾ إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب.. أضافوا إلى العاملين في البنوك، المبنى.. الطريقة.. الأوراق.. الموظفون.. المعاملات.. أضافوا هيئة الرقابة الشرعية.. ومهمتها مصفاة لتصفية المعاملات من الشوائب ومن الحرام.. وإحلالها المحل الحلال.. فتحت هذه العملية بابا لتوسع في دراسة الاقتصاد الإسلامي وتفصيلاته، وأنشئت بنوك إسلامية غطت أكثر أنحاء العالم، ومازالت في تطور ووصل الحد إلى افتتاح كليات في أكثر الجامعات لدراسة الاقتصاد الإسلامي.

المهم هنا هو إنشاء هذه الهيئات تعطي رأيها بالنصوص، تعطي رأيها بما يجب أن يظهر أو لا يظهر.. تعطي رأيها حتى في أي اتجاه يحسن العمل في الإعلام.. يوضع لها منهج محدد، وتعطي الحرية والاستقلالية، حتى تبتعد أن تكون هيئة موظفين تخضع لرأي المنتج أو المدير.. أو أي سلطة حكومية تمارس عليها، هذا اقتراح وبعد ذلك تتم التفاصيل. ثم إننا ننقل علماء الشريعة من وظيفة الإمام والخطيب إلى وظيفة إعلامية، حيث يرتع بها الآن المختصون في التمثيل والإخراج وأيضًا إلى عالم الإعلام الواسع.. ليأخذ من عقولهم حيزا ينطلق بحرية وإبداع كما تفتح وانطلق في عالم المال والاقتصاد والبنوك عقل العاملين في هيئات الرقابة الشرعية في البنوك.

---

(١) البقرة: ٢٧٦.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

بعد هذا لابد لنا من استخدام هذه الوسائل الإعلامية لتوعية الناس المؤمنين بوجوب الالتزام بفتاوى أصحاب الرأس من العلماء والفقهاء والدالون على الخير وأهله.

المبحث الحادي عشر

نعم.. لا في أي مكان؟ في أي موقع؟

بعض التجارب

ترى من أي باب نلج في هذا العالم؟.. أنركض وراء الإنتاج التلفزيوني؟ أنساير الإنتاج السينمائي؟ أنحيي المسرح؟ أنكتفي بالخطبة والموعظة الحسنة؟ وهي باب مأمورون به قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(١).. صدق الله العظيم، أنتابع التركيز على الكتاب والمسجلات؟ والاختيار طالما أن الآخرين قد كفونا المؤونة في ذلك..؟ أنتجاوز حدود الشرع في بعض الفقرات لنساير هذا الزحف الذي جاءنا باسم الفن والأدب، والإبداع والحضارة والتقدم.. فداسوا على جميع القيم دون تمييز؟

لا أيها الأخوة.. إن هذا الإسلام العظيم قد فتح أمام المسلمين العالم وأمرنا بدراسته وفهمه، والتمسك به ومعرفة أسراره وأهدافه ومراميها.. فلا نتركه لنلهث وراء الأيدلوجيات والآراء والمفاهيم التي حولت عقول العامة والخاصة عن فهم مقاصد الشريعة ونصوصها.. فقط نحب أن نتوجه إلى هذه الدراسات بعقول المؤمنين الذين هداهم الله تعالى ليكونوا منارة الدنيا بعد الأنبياء.. يعرفون دروبهم، يعرفون مقاصدهم، يعرفون أهدافهم.. ومع أنهم مع الأسف يخوضون الآن معركة الوجود أو العدم على جميع المواقع.. والأمكنة.. والأزمنة.. ولم يترك لهم وقت للتفكير.. أكثر من البحث في الظلام عن الوجود.. والحياة والبقاء.. ولكن يبقى هناك فسحة.. تبقى في الجسد نبضة من إيمان ويقين..

واستوقفني خبر الإمام القرطبي الذي كتب كتابه العظيم الجليل في التفسير.. كتبه وهو مطارد من جند الأعداء في الأندلس.. ولم يثنه أبدا أن يقف عن مشروعه تلمسا للمحافظة على حياته.. ومثالنا الإمام السرخسي.. الذي أملى بعض كتبه وهو مسجون في قاع بئر.. وتلامذته ليس لديهم الطاقة لإخراجه من البئر، وخوض معركة خاسرة مع السلطان فأخذوا علمه.. وآخرون وآخرون.. لكن هذا العصر عطاء غير محدود لجند الله في مجارة كل السبل.. لندرس حياة الغزالي.. الذي كتاب كتابه في خضم سيادة الفرق البطانة (إحياء علوم الدين) و (حسن الأشعري) الذي تصدى بمفرده للانحرافات والخرافات والبدع التي سادت زمانه، وأحمد بن حنبل الذي عاداه الحاكم والعلم ليظهر

---

(١) النحل: ١٢٥.

الحق.. أم أن أولئك من غير طينة البشر.. ونحن تربينا على التسليم.. والاستسلام.. وإحناء رؤوسنا لتوضع بها القيوم.. ولما تمرد البعض.. أصابوا الجميع بالتهمة، فأخذوهم بأشد العقاب الذي لم ينج منه إلا القليل.. الذين نرجو الله أن يحفظهم ويحفظ المؤمنين من كل سوء.. وسلام الله عليكم.

ملخص بحث

العمل في المؤسسات الإعلامية خارج ديار الإسلام

ما يحل منه وما يحرم

قد يكون الموضوع قد خرج قليلا عن العنوان المقرر.. وتطرق إلى مناح أخرى.. لابد منها لمعرفة ما هو حلال.. وما هو حرام..؟ في العمل الإعلامي ككل.. وهذا الخروج اقتضت له الضرورة.. لأن الإعلام كل الإعلام سواء أكان خارج ديار الإسلام أو داخلها.. إنما هو عمل.. وهو صنعة. وهو فن، وهو إنتاج، وهو عرض، وهو تأثير، وهو أناس يعملون في الظاهر وآخرون يعملون في الخفاء.. نساء ورجالا وأطفالا.. ومخلوقات أخرى.. ولذا فإن الموضوع الذي طلع علينا الإعلام فيه.. حتى يمكن لهذا المجمع العتيد أن يصدر بعضا من أحكامه.. فيحل ما هو حلال ويحرم ما هو حرام.. على يقين وعلم ومعرفة وأدلة شرعية واضحة ومقنعة.. فإن بين المسلمين حتى من يعيش منهم في الغرب قد صم أذنيه وغطى عينيه.. وأبعد تفكيره عن الإعلام وإنتاجه وعروضه وإبداعاته، واستمرارية تجدده يوما بعد يوم.

الموضوع بأحد عشر مبحثا:

- الأول: عن الإعلام وتطرق إلى تعريف الإعلام لغة واصطلاحا وواقعا وأداء.. ثم أشكاله من حيث التنوع وتفاعل حواس الإنسان معه.. المسموع.. والمقروء.. المرأي.. وكل من هذه الأشكال ماذا يمكن أن تعطي تحت عباءتها من معطيات.. فالمسموع ما لامس الأذن وربما تشارك به العين أحيانا، والمقروء فيه التركيز الأول يقع على العين فمنه الكتاب ونشرات وكل ما يمكن أن يصل إلى العين عن طريق المادة المسطرة على الورق.. أما المرأي فهو المشاهدة المطلقة لأكثر من المادة المكتوبة رؤية الحركة أو الصورة أو الناس.. كالمسرح والسينما والتلفاز والإعلانات باختلافها، والإنترنت الآن الذي جميع بين المقروء والمرئي يتوافق وتناسق عجيبين.

- ومن ثم في المبحث الثاني تطرق البحث إلى ركائز الإعلام الأساسية التي لابد منها لإنجازه وإتمامه ليكون جاهزا للعرض، أو المشاهدة، أو القراءة، أو السماع.. وركائز الإعلام أربعة هي:

المادة المكتوبة التي لابد منها لجميع الأعمال الإعلامية.. ثم وسائل الإعلام وتشمل جميع الأجهزة الصماء التي أعدت الأعمال الإعلامية من المطابع والورق والأقلام والحبر والألوان والمسارح ودور السينما واستوديوهات الإعداد والتلفاز والكمبيوتر.. وهي الوسائل التي تمكن من عرض المادة الإعلامية بالشكل المطلوب.. ثم العاملون بالإعلام وهم كل الذين يعملون لإيصال العمل الإعلامي

إلى الناس، فمنهم المختصون ومنهم المهنيون ومنهم العمال.. وهم مختلفو الأداء، مختلفو المواهب، مختلفو الثقافات، وتجمعهم مهنتهم بأنهم يؤدون عملا في مجال الإعلام.

والرابع من الركائز هو التمويل المالي.. الذي لا يمكن لأي إعلامي أن يخرج إلى حواس المشاهد من غير إنفاق مالي.. فإذا استوت هذه القضايا وتضافرت يمكن أن تؤدي إلى عمل إعلامي يتفاوت بالظهور بالزمن والتأثير، والإبداع، والتفاهة.. الخ

– والمبحث الثالث.. تحدث عن أبرز أعمال المسلمين الإعلامية.. والتي تقع في أدائها وتقديمها تحت هذا المسمى أولها خطبة الجمعة والخطب الأخرى.. والمواعظ.. ومن ثم الكتاب الذي تمكن به المسلمون أن يلجوا باب الإعلام والتفوق فيه.. ولعل أبرز هذه الأعمال طباعة القرآن الكريم.. الذي اتخذ على مر الأزمنة الاهتمام الزائد حيال كتاب الله.. وفاق الاهتمام به ونشره مع ترجمة معانيه إلى اللغات العالمية.. كل الأزمان على الرغم من الحرب المعلنة ضد الإسلام في مختلف أنحاء العالم.. ومن ثم فإن الاستفادة من إنجازات الإعلام الحديثة لخدمة الإسلام قد أخذت مدخلا طيبا في ذلك على الرغم من أن جميع الإنجازات الإعلامية جاءت لخدمة الفن ومن أي شكل وتحت أي مسمى كان فاستفاد المسلمون من مكبرات الصوت التي بثت في جميع المساجد ولم تغن عن بناء المآذن رغم أنها ثبتت في أعلاها.. ولذلك المسجلات وأشرطة الفيديو.. والـ CD.. والإنترنت وأحيانا المسرح والسينما والتلفاز.. ولو أنها كان هناك أعمال مختلفة نوعا ما.. كما أن بعضا من ممولي القنوات الفضائية قد خصصوا بعضها للإعلام الإسلامي.. لكن أمرها مازال في أطواره البداية الأولية.

– أما المبحث الرابع فتطرق إلى قضية التعامل مع الإعلام من التأييد المطلق.. إلى التأييد المقيد، ومن ثم إلى التحريم.. وكل حسب الموقع والموقف الذي يظهر به الإنتاج الإعلامي.. مع التأكيد على الطغيان المطلق للفاحشة على الأخلاق.. مع عدم خلو الإنتاج الإعلامي من منجزات علمية خلاقة غاص بها الإنسان مجهول الأرض وربما مجهول المحيط الضيق من الفضاء.. وثم تصوير الإبداعات الفلكية بشكل طيب في جميع وسائل الإعلام المقروء منها المسموع والمرئي.

– وتوجب الحديث في المبحث الخامس عن كون الإعلام سلاح فتاك ذو حدين يمكن أن يخضع كلية إلى العطاء الإسلامي، أو أن يقف عند فتكه بعقول الناس والأجيال.. بعد أن رفع الإعلام الغطاء عن الحياء والقيم والشرف والعفاف والتستر، ومضى بكل وحشية وبجاحة إلى استثارة الغرائز وتضييع الإنسان في متاهات وإنتاجه الخبيثة.

– أما المبحث السادس فكان يقتضي تأجيله لاتخاذ القرارات المناسبة تجاه هذا السلاح وهو حرمة وحلة العمل في الإعلام.. أو التعامل مع الإعلام.. ومدى إمكانية السيطرة؛ بعد أن تسلل الإعلام إلى

المضاجع ودخل من أضيق النوافذ وفتحات الأبواب وأضحى يلبي رغبات الناس على مختلف مستوياتهم القريبة أو البعيدة.. و لم يجب هذا المبحث على الأسئلة حول الإعلام من الحلة والحرمة.. ولكنه أطلق مجددا أسئلة لابد منها أمام مجمع الفقهاء للإجابة عليها.

- المبحث السابع تحدث عن تأثير الإعلام الإسلامي على بساطته وعلى مدى تخلفه في عقول الناس على مختلف مستوياتهم.. سواء أكان رديئا أم حسنا.. وتطرق المبحث إلى بعض الشواهد كمثال على مدى هذا التأثير.. من عدمه.

- وتساءل المبحث الثامن أمام المؤتمر عن إمكانية إيجاد إعلام إسلامي.. أم يكتفي بالاستنباط واختيار الأفضل.. وتوصل إلى أن الإمكانية قائمة إذا ارتبط العمل بقدر من الإيمان، إمكانية النحي نحو العرض الأفضل والإنتاج الأفضل.. وتقديم الإسلام إلى العالم بأسلوب جذاب بناء ومحاولة التخفيف من مضمون الخطاب والوعظ الذي طغى نوعا ما على العمل الإعلامي الإسلامي، وترك الأمر لآراء السادة أصحاب الفضيلة ليقولوا رأيهم في ذلك.

- لابد من الوقوف على الحرام.. وتم المبحث التاسع من تصوير بعض المواقف المحرمة في حياة المسلمين، والتي تصاحب عادة الأعمال الإعلامية كعمل المرأة والموسيقى التشخيص والكذب والتصوير عموما.. كما أن بعضا من الأعمال مفروضة وواجبة كخطب الجمعة والموعظة والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واستخدام الوسائل الإعلامية الممكنة لتنفيذها كالطباعة وبناء المساجد ونقل الخطب والمواعظ والأعمال الخيرة إلى أكبر شريحة من الناس المشاهدين أو المستمعين كما تفعل بعض محطات التلفزة بنقل خطب الجمعة في غير وقتها للمشاهدين.. أو أي عمل خير في ذلك الاتجاه.

- والمبحث العاشر تطرق إلى الحلة في الإعلام وجوانبها المختلفة.

- وأخيرا خاتمة الموضوع جاءت أيضًا تتساءل عن ماهية العمل الإعلامي كعمل متكامل، وبأنه أساسا جاء من النصارى واليهود، ومجرد متابعتهم هو لحاق بهم، ويحشر المتبع من اتبع.. كل هذا أوجب البحث الدقيق في معطيات هذا الحال.

إن تجاوز الموضوع لبعض الحدود في العنوان.. إنما هو للوقوف على بعض الأعمال الإعلامية في الواقع والتي فرضت نفسها على حياتنا، وقلدناها دون البحث في الحدود الشرعية.. والطلب إلى هذا المجمع الموقر إبداء الرأي بالتفاصيل المبينة في البحث.. ثم إعطاء الناس التصور المطلوب لمن لم ينغمسوا بالأعمال الإعلامية.. أو المترددين من وراء استثمار أموالهم في هذا السوق الرائج الآن، والذي تتنافس به شركات عالمية.. والدعوة لتقليد البنوك الإسلامية التي تمكنت أن تخرج من الحرج بالتعاملات

البنكية الربوية إلى حدود التعامل بالمنصوص والاجتهادات الشرعية ومن هنا يمكن أن نؤسس أكاديميات إعلامية ونخرج إعلاميين إسلاميين.. يعرفون الحدود ولا ينتظرون الفتوى في كل عمل أو اجتهاد، والله الموفق.

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

المبحث الثاني:

العمل بالقضاء والمحاماة

لدى أنظمة لا تتحاكم إلى الشريعة الإسلامية

المبحث الأول

العالم اليوم

تختلف أنظمة العالم اليوم من تجمعات كبرى إلى مجموعات تحكمها قوانين البلد الواحد، وليس في العالم أحوال تقارب موحدة، ولو كانت تنضوي تحت اسم موحد، وحتى لا نخرج بعيدا عن هذا المجال نلخص أشهر التجمعات التي ربما يكون بينها شيء من التقارب.

أ – العالم الإسلامي:

حيث يغلب على سكان البلدان المنطوية تحت هذه المظلة الدين الإسلامي، وحيث أن هذا العالم لا يحكم تماما بالشريعة الإسلامية، فإن ضوابط حياته تقع تحت تأثير هذا الدين كالعبادات، وبعض المعاملات، والأحوال الشخصية، والقوانين، والقضاء، والأحكام الصادرة عن القضاء.. والعادات والتقاليد والأعراف، والأسماء، واللغة وخاصة العربية.

إلا أن هذا العالم قد تفلت في كثير من الجوانب من ضوابط الدين الإسلامي، وتأثر تأثرا بالغا بالعوالم المؤثرة في هذا العصر، وخاصة العالم الغربي، أو ما يمكن أن يعرف بعالم النصارى، وقد استخدمت القوانين الكثيرة والمؤثرة في حياة الناس – كقوانين السير والعلاقات العامة، والخارجية، ونمط الحياة، وتجاوز الكثير من المحرمات كالحجاب، والأحوال الشخصية، والعادات والتقاليد وخاصة في أصول المحاكم والقضاء، وأنظمة الحكم، وإدارة شؤون الدول التي تفتت وتجزأت حتى لم يعد هناك ألوان تستوعب جمعها في الخرائط العالمية، ودخل الكثير من الغرباء، وخاصة من المشرق والمغرب من الهند وكوريا والصين وأفريقيا، وأوروبا وحتى أمريكا، وغزت جيوش هذه الدول مناطق واسعة من العالم الإسلامي، والظاهر منها في العيان أفغانستان والعراق.

ب – العالم النصراني:

هو العالم الذي تسود فيه الديانة النصرانية، ولو أن هذا العالم لم يعد ينطبق عليه هذا الوصف الديني؛ لأنه ابتعد مسافات كبيرة عن الديانة المسيحية، ولا يزال يرتبط بها بوجود الكنائس، والأسماء وبعض الصفات التي اكتسبها من الكنيسة إبان حكمها، ويمكن أن نسمي هذا العالم الآن بعالم الديمقراطية، والديمقراطية تختلف من مكان إلى آخر، فمن أنظمة ملكية إلى أنظمة جمهورية، إلى تباعد وتقارب بالجنس واللغة، ولو أن أوروبا الآن تتقارب بشكل كبير في مجال المصالح فقط وليس شيئًا آخر.

في هذا العالم يعيش عدد من المسلمين يصل إلى خانة عشرات الملايين من مختلف أصقاع العالم الإسلامي، ومختلف الطبقات أكثرها الجاهلة والفقيرة والقليل من المتعلمين وأصحاب الفكر الإسلامي والفكر الملحد، أو الغير ديني، وليس بين هذه الجاليات أية روابط تجعل من هؤلاء وحدة موحدة، فالتنازع بينها يبلغ أشده أحيانا إقليميا، وطائفيا، وحركيا، ويزكي هذه النعرات حكام العالم الإسلامي ومنظموا الحركات الإسلامية أيضًا، وبعض المصالح الدنيوية، وهؤلاء هم الذين نقصد في دراستنا هذه، وهم المعنيون بالبحث والتمحيص وتقديم الحلول الشرعية لقضية من أعقد القضايا وأشدها حساسية، وهي قضايا القضاء وتحقيق العدل بينها وتقوية المعتقدات والسلوك الإسلامي فيها.

جـ – العالم الهندوسي:

ينحصر هذا النوع من البشر في القارة الهندية عموما وما حولها، وخرج الكثيرون الآن إلى مختلف أصقاع العالم بحثا عن العلم وبحثا عن الرزق وهو الأهم. يشكل هذا المجتمع الأكثر فقرا في العالم والأكثر تخلفا إذا قيس على بقية العوالم الأخرى. من هذا العالم يقارب نصفه من المسلمين، ولو أن بعض المسلمين اتخذوا كيانات مستقلة، أو مازالوا في سلطان الهندوس وقيمهم وأحكامهم.

والصراع محتدم بين المسلمين والهندوس منذ أن دخل الإسلام هذه القارة وحكمها. والآن في أجزاء متفرقة من الهند وكشمير وبعض الولايات الأخرى التي تتقاطع بها معتقدات ومصالح المسلمين مع الهندوس، ولهؤلاء أحكام ومواقع دراسات، واجتهادات وفتاوى بالتعامل مع مجاوريهم، أو بينهم وليس هناك مجال للتطرق لمثل هذه الأمور.

د – العالم البوذي – العرق الأصفر – الصين:

في هذا العالم أكبر جالية إسلامية تعايش الصينيين منذ أن دخل الإسلام هذا العالم... وليس في الصين كدولة بل بالأماكن المتفرقة الأخرى التي يقطنها الصينيون، ولعل أكبر جالية في غرب الصين في تركمستان ومنغوليا – وداخل الأراضي الصينية – والمسلمون هؤلاء هم من السكان الأصليين مثلهم كمثل المسلمين في القارة الهندية، قد تحددت العلاقة بينهم وبين جيرانهم منذ قرون، وإن كان هناك بعض التناقض والتقاطع بين المسلمين والصينيين، وقد ازدادت إبان انتشار الأفكار الشيوعية في الصين، وتبني الصين للفكر اللينيني – الماوي – وكأنها لم تدم كثيرا مع وجود الاحتكاك في بعض المناطق حتى الآن.

المبحث الثاني

الأقضية في أنظمة العالم المختلفة

أ – القانون:

يغلب على أغلب أقضية العالم الآن وبمختلف الأصقاع "القانون"، والقانون الذي ارتضه هذه البلاد هو من عمل الأفراد عموما مع اختلاف المصادر المستقاة منها. لكن القانون هو المرجعية التي تفاهمت عليها هذه الشعوب لتحدد الحدود، وتطبق الأحكام، وتسعى لتحقيق العدالة، ومهما كانت المرجعيات التي استمدتها هذه القوانين، فإنها أضحت رمزا لرقي الدول، وتقدمها، ومدى مجاراتها للحضارة العالمية الحديثة، لكل دولة قانون، وحتى في البلاد الديكتاتورية فإن بها قانونا إما معطل بأحكام عرفية، أو أنه مفصل على مقاس الدكتاتور فردا كان أو حزبا، أو طائفة، أو مجموعة متنفذة أو أسرة حاكمة، فالقانون إذن هو الأقوى هيمنة على حياة الدول، وأفكارها، ومسارها في الحياة، ولملاقاتها في شعوبها والشعوب الأخرى البعيدة أو القريبة.

ب – العرف:

هو ما تعارف عليه الناس ميراثا من الواقع والتاريخ، والعادات والتقاليد، ويعتبر العرف مصدرا قويا من مصادر القانون، ولو أنه يقنن في حياة الناس، ويرتب حتى يمكن أن يكون بديلا للقانون، والمحاكم كلها في العالم تتعامل معه بالحدود المسموح التعامل بها. ويختلف العرف من بلد إلى آخر حسب ما توارثه هذا البلد من الآباء والأجداد، بل قالو: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾(١).

جـ – الشريعة:

الكثير من سكان العالم مسلمين وغير مسلمين يتعاملون بالشرائع التي نزلت عليهم، ولعل هذا ينطبق على أهل الديانات السماوية، ومع أن الشرائع – غير الإسلام – قد أصابها التحريف والتبديل والتغيير، إلا أن هذه الشرائع المتداولة مازال لها التأثير الفعال في حياة الأفراد والجماعات، أكثر مما تتعامل به الدول، لكن الإسلام الذي مازال العامل الأساس في حياة المسلمين، فإن المسلمين إن

---

(١) الزخرف: ٢٢.

تعاملوا بغيره من مصادر القوانين؛ يحاولون ولو بالحدود التي لا تتناقض مع مبادئ الإسلام، وأحيانا يتخذون قوانين موازية للإسلام كنظام الضرائب مع وجود نظام الزكاة... والتعامل الربوي في الاقتصاد مع وجود التعامل الإسلامي بين الأفراد وبين بعض المؤسسات.. فالشريعة إذن مازال لها التأثير القوي في هذا المجال، وهناك صراع محتدم بين الإسلام والأنظمة الدنيوية حتى يصل الحال إلى حروب أحيانا بين المستورد من الأنظمة ونظام الإسلام. وهو ما تحاول الانظمة الأخرى أن تجد لها الغلبة في الكثير من الدول.

د – مبادئ وأحكام أخرى:

ينطبق هذا الحال على بعض الدول التي تحكم أحكاما فردية، أو أحكام عرفية تتبع هوى الحاكم ورأيه أو الجماعة التي تحكم هذه المجتمعات، ولعل الأنظمة القبلية هي الأكثر تواجدا عند المجتمعات البدائية، أو التي تعيش على البداوة، والمناطق النائية، وليس هذه قياسا على ما يجرى في العالم... لأن العالم يتجه منها ولا يتجه إليها في تقنين الحكم والأحكام والمعاملات.

المبحث الثالث

الأقضية في العالم النصراني

ليس الحديث هنا يعني بماذا تحكم هذه البلاد، فقد أشرنا إلى غطاء واسع تتغطى به هذه الأنظمة ألا وهو الديمقراطية، والمقصود الآن ماذا تهدف هذه الأقضية، وماذا تريد من تأكيدها والعمل بها. إن من أهم هذه الأهداف:

أ – العدالة:

إن الهدف الأول من القوانين في عالم النصارى هو تحقيق العدالة، وحسب المفهوم لدى كل شعب لهذه العدالة، سواء أكان للحاكم أو المعارض، أو المواطن، أو المهاجر الوافد، وتتوخى الأقضية في هذه البلاد أن تحقق العدالة بأخلاقها، وتتصارع الأحزاب المختلفة بالوصول إلى الحكم عن طريق السعي لتحقيق هذه العدالة، فيما تقصر قوى أخرى في تطبيقها، وتصل الأحزاب أو القوى المتصارعة إلى الحكم عن طريق المصداقية في التطبيق، أو تحقيق هذا الهدف، ونظرا لقصور هذه القوانين – وهي من عمل الإنسان – فإنها قابلة للتبديل والتغيير، فإن الأقضية لا تصلح لكل زمان ومكان، ولكنها عرضة لاتباع الأفكار التي تتمكن من فرضها على شعوبها. وفي هذا المجال تفقد الأقضية مصداقيتها في تحقيق العدالة التي تسعى إليها – ولأنها أصلا من صنع البشر –.

ب – الحرية:

تنشط الأقضية في دول عالم الديمقراطية الآن في تحقيق أكبر قدر من الحرية لشعوبها، وقد تجاوزت بعض الأقضية في هذا المضمار إلى إرهاق وإبعاد الكثير من القيم والأخلاق، والآداب العامة عموما، في مبررات لإطلاق الحرية الشخصية أو الحرية الجماعية، وهذا ما يميز هذه المجتمعات الآن، حيث أن شغف الحرية قد وصل حدا تجاوز طبيعة البشر، وحدود الإنسان، إلى السقوط في مهاوي اللا أخلاقية وتناسي القيم مثل تعليم الابن التمرد على الأبوين، وسن قوانين جائرة وصارمة لمن يستشم منه الضغط على الأولاد أو الزوجات، وقد أدى هذا إلى الإقلال من الإنجاب، وكذلك إفساد الحياة الزوجية، والتوجه إلى قضاء الشهوات للمرأة والرجل في مجال خارج إطار الزوجية، وكذلك التبني، واستلام الدول لحضانة الأطفال وانتزاعهم من والديهم، ليعيشوا في تجمعات أعدت لمثل هذه الحالات، سواء الزوجات أو الأولاد.

جـ – رفع مستوى المعيشة والرفاهية:

لعل الغاية القصوى التي تسعى إليها الحياة الغربية — النصرانية — هي رفع مستوى معيشة الفرد والتجمعات — أسرة، مجتمع، نواد، مؤسسات —، ولذلك فإن الأقضية تتجه اتجاها متسارعا لتأمين هذه المطالب التي تقذف بها الصناعة يوميا إلى الأسواق، وقد توجه العالم إلى اقتصاد السوق لتأمين حرية البيع، والتعامل سواء بالربا أو التقسيط، أو أي طريق أخرى يؤمن الاستهلاك الدائم لما تنتجه المصانع التي تعمل ليل نهار، وكذلك الإبداعات التي نراها في كل يوم. وهذه الغاية التي سلكتها الحضارة الغربية، توقع الإنسان تحت طائلة المديونية الدائمة، والتلاعب على القانون والسعي الحثيث لتأمين المديونية التي غالبا ما تتنافى حتى ترافق الحياة كلها كشراء البيوت، وما درسته المؤسسات الإسلامية في هذا المجال، وقدمت فتاوى به.

د – حرية القضاء:

تفتخر الحكومات الغربية بأنها توصلت إلى استقلال القضاء وحريته تماما، ولذلك فقد أخذ القضاء سلطات لا توجد في العالم على اختلاف مسمياته، وهذه الصفة أيضًا زادت في حرية الأفراد، وعدم الخوف من أي سلطان غير القانون، فلا السلطات الأخرى التشريعية، والتنفيذية، والصحافة والإعلام له سلطة مهما كانت على القضاء. هذه الميزة يقع فيها المسلمون دون أن يكون لهم دراية، أو معرفة بما يقدمون عليه. سجن أب أربع أشهر، ثم جدد السجن، وأخرج من شقة الأسرة، وأمر أن يستأجر بعيدا على الأقل نصف كيلو متر وإن لا ينظر إلى أولاده، أو يقف أمام بيتهم حتى لا يرهبهم، أو يخوفهم، أو حتى يزعجهم، وليس للقضاء مرجعية فأصبحت الأحكام التي تصدر عن القضاء مضحكة أحيانا، فعندما يأخذ الإنسان حكم قضائي - وعمر الإنسان - المتوسط ما بين ٦٠-٧٠، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)، وقد يزيد أن يحكم عليه بثلاثمائة سنة، أو أحكاما أخرى لو حسبت لشملت أجيالا من البشر.

---

(١) ورد بلفظ: "أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك":
أخرجه الترمذي في سننه كتاب الدعوات باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (٣٤٧٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجة في سننه كتاب الزهد باب الأمل والأجل (٤٢٢٦)، وابن حبان في صحيحه كتاب الجنائز باب المريض وما يتعلق به (٢٩٨٠)، والحاكم في مستدركه كتاب التفسير، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي على شرط مسلم (٣٥٨٩)، والبيهقي في سننه الكبرى كتاب الجنائز باب من بلغ ستين سنة... (٦٣١٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٩/١٠: فيه شيخ هشيم لم يسم وبقية رجاله رجال الصحيح، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح ٤٣٣/١١، وصححه الزرقاني في مختصر المقاصد (١١٥)، والألباني في صحيح الجامع (١٠٧٣).

هـ – تنفيذ الأقضية:

السلطة التنفيذية جاهزة لتطبيق الأحكام القضائية، مهما كانت هذه الأحكام، ولا تستطيع أية سلطة مهما كانت أن تعترض على هذه الأحكام، أو الطعن بها مهما كانت الأسباب، وبذلك فإن هناك قوى تنفيذية قادرة على تنفيذ هذه الأحكام ورعايتها، مما جعل السجون تتطور تطورا كبيرا في دول النصارى، وفي السجون الاعتباطية التي تنشئها الدول لمحاربة أعدائها، والذي وصل تنفيذه إلى حدود المهازل كسجن غوانتنامو والسجون التي تديرها أجهزة المخابرات على مدار العالم.

المبحث الرابع

بعض الأقضية التي يقع تحت طائلتها المسلم عندما يهاجر إلى تلك البلاد

فهذه بعض الأقضية التي يقع تحت طائلتها المسلم عندما يهاجر إلى تلك البلاد لا يعلمه أحد إطلاقا عن القانون، ولا عن القضاء، ولا عن الحرام أو المباح، فلندع الذين يدخلون هذا العالم بطريقة غير قانونية، ولنتكلم عن الذين يعيشون بشكل قانوني في هذه البلدان، أو حتى عن الذين أخذوا إقامات دائمة، أو حتى عن الذين أخذوا جنسيات هذه البلدان، ضمن عقد محدد في القوانين قد لا نعلم إلا القليل منه، والباقي نقع في ثنايا قضائه دون دراية أو علم.

أباحت تلك الدول بعض الحريات المحدود جدا للمسلمين التي تتوافق مع قوانينهم ودساتيرهم، والباقي إما أن يمارس خلسة أو لا يمارس إطلاقا، حتى لا يطال القانون القائمين عليه، فمثلا: تعدد الزوجات: لم يتمكن المسلمون في أي بلد من بلدان العالم المانع للتعدد، أن يحصل على هذه القضية المحللة في الإسلام، حتى أن الأمر قد طال قوانيننا، فمنعت هذا النوع من الزواج، وأباحت ما دون ذلك دون حسيب أو رقيب، وقضايا حضانة الأولاد: كل القوانين لم تعط الزوج حقه في حضانة أولاده، إن كان خلاف بين الزوجين إن كانا مسلمين أصلا، أما إن كانت الزوجة نصرانية، فلم يعط الزوج أي حق من حقوق الرعاية إلى الرؤيا بالمناسبات المختلفة.

ثم إن التعامل بالمال الذي يسلك درجة حتى يصل إلى المسلم في طرق حرام، ونغمض أعيننا عن هذا لأنه لا توجد بدائل كافية على السيطرة على المال وتشغيله وحفظه.

وأخيرا وليس آخرا فهل يجوز للمسلم أن يتعامل في مجال الأقضية؟ كل ما تقدم يقدم لما سيأتي رأيي، في الواقع إن العمل في هذا المجال للحكم بينهم بحسب شرائعهم وقوانينهم، أعتقد أن الأمر مباح.

إن أكثر ما ورد من مقاضاة في القرآن أن من أهل الكتاب والرسول هو القاضي، وبالمناسبة ليس هو تحت إمرتهم أو أخذ إقامة أو جنسية منهم ليطبق ما عندهم، بل هو القاضي الذي يتلقى الوحي ويعلم شرائعهم، وما هو حق، وما هو يقضي بما أمر الله، وحسب ما ورد في أصول تلك الشرائع، وردت الأحكام كلها أو أكثرها في سورتي المائدة وآل عمران وهذه هي النصوص التي تعلقت بهذه الموضوع، والآيات البينات في ذلك.

۞يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ
وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ
يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ
وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ
قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ
أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ
شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ
ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا
ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا
ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟
بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ
ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ
وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ
فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً
وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ

ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾(٢).

تبين هذه الآيات أحكاما عظيمة يحسن الرجوع إليها، هذه واحدة والثانية أن هؤلاء أهل كتاب اتخذوا كتبهم وحرقوها وبدلوها، أما أبنائهم الآن فقد ألقوا كل هذا جانبا، واخترعوا لأنفسهم قوانين ودساتير لا تحمل أي آية قدسية، أو أية صفة إلهية، وإنما تتابع الناس على الإضافة عليها أو إلغائها، أو تعديلها، وكان العمل سواء في القضاء أو في الادعاء بعيدا عن المحاماة فيجب أن لا تساق هذه القضايا على المسلم الذي يطبق شريعة ويخالف نصا في قانونهم كتعدد الزوجات مثلا، أو الوراثة، أو الوصية وحدودها الشرعية، أو التبني حسب تلك القوانين، إن أهم أمر يندب العمل به هو المحاماة؛ لأنها يمكن أن تنير للمسلمين المقيمين في تلك البلاد السبل حتى لا يقعوا في مخالفات يعتبرونها من المحرمات، كما أنه يمكن أن ينجي المسلم من مصائب كثيرة يقع فيها لجهله بمواد القانون، فالمحامون المسلمون يمكن أيضًا أن يوصلوا موكليهم من المسلمين إلى حقوق يجهلونها فيخسروها أو تذهب بين أيديهم.

أعتقد والله المستعان أن العمل في هذا المجال يدخل باب الحلة أو المباح على الأقل، ضمن شروط وضوابط كثيرة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، على أن يكون ذلك يلامس شيئًا من الشريعة، ومنها تحقيق العدل، رفع الظلم، الوصول إلى الحق، الابتعاد عن الباطل، عدم مجاراة الأحكام الجائرة التي تمنع شرعا أو تغلق مستندا شرعيا صح مصدره من القرآن والسنة المعتبرة والمأخوذ منها شرعا، وأن تجري دورات مكثفة للمسلمين في المهجر قبل الهجرة أو أثناءها لتعليم الناس حقوقهم، وواجباتهم، وذلك حين يقسم المسلم على طاعة تلك القوانين، وما هو حلال وما هو حرام، وهذا لا يمكن أن يسيره إلا العاملون في مجال القضاء وحتى النيابة وطبعا المحامون.

والله المستعان.

---

(١) المائدة: ٤١-٥٠.

(٢) المائدة: ٦٦.

المبحث الثالث:

العمل في المطاعم

العمل في محلات البقالة

المبحث الأول

المحرمات من الطعام والشراب في الإسلام

حض الإسلام على تحريم بعض الأطعمة وبعض الأشربة، وحتى الدهون أو الأغطية أو الألبسة التي ربما تستخدم من أصل هذه التحريمات، ولقد توسع الفقهاء في بيان الأساسيات والفروع من هذه المحرمات.. وقد انصبت الفتاوى على النوع المحرم بذاته: الخمر - لحم الخنزير - الميتة - ... الخ، وكانت هذه القضايا يفرد لها أماكن خاصة لبيعها ولعرضها، والتعامل معها. وكأن ما حصل الآن هو دمج هذه القضايا المحرمة مع المباحة جنبا إلى جنب في البقالات، وحتى في الصحن الواحد في المطاعم.

واختلط الأمر على الكثير من المستهلكين والمسلمين منهم خاصة - في ديار المهجر - فأكلوها وشربوها، ونقلوها، ونقلت منهم وإليهم... وهذا الاختلاط - خاصة عند الذين لم يتقنوا لغة القوم المقيمين عندهم — فلا يعرفون ولا يفرقون فوقعوا في الحرام ولفترات طويلة. ورغم الثقافة التي لحقت المسلمين في المهجر لكن بقي الوقوع في الأطعمة المحرمة قائما.. أنواع الشيكولاتة المعجونة بالأنواع الفاخرة من الخمور، أنواع الحلويات المختلفة المطعمة بالمسكرات..، أنواع الشامبويات الممتلئة بدهن الخنزير... الخ ما هنالك.

وقد بادرت الكثير من المؤسسات الإسلامية في أوروبا وأمريكا بإصدار نشرات كثيرة تبين للناس الرموز والماركات، والأحرف والمسميات التي تحوي خمورا أو تحوي شحوم خنزير، حتى شملت أحيانا كافة الأطعمة الموجودة في المطاعم، أو المصنعة، أو المرتبة في البقالات.

إن المسلم في كثير من الأحيان يقع فريسة سهلة، وخاصة الأطفال في أطعمتهم في هذا الخلط العجيب من المحرمات في أطعمتهم وأشربتهم، ولكن السعي الجاد من أكثر المنظمات الإسلامية لإظهار الحلال من الطعام من الحرام، يرفع نسبة تجنب الوقوع في هذه المحرمات، ولو أن الكثير من المسلمين لا يسألون عما يفعلون، وأحلوا لأنفسهم الكثير من المحرمات، وأخص بالذكر أولئك الذين استثمروا بالمطاعم والبقاليات أموالهم، وتملكوها وعملوا بها وجاؤوا بأجراء وأجيرات من المسلمين للعمل معهم دون الالتفات إلى كل هذه المحرمات، وهم يصلون في الصفوف الأولى، ويدعمون المساجد، وبعضهم يديرها.. وهو يتجنب أن يقع في الهلكة، ولكن لا يبالي أن يقع الجميع مما يتعاملون معه فيها.

تعود البعض إقامة حفلات إفطار في رمضان لمجموعة من المدعوين، أو إقامة حفلة عرس أو ختان، أو حفلات أعياد ميلاد في المطاعم، وهذه المطاعم لا تملك أي حد أدنى من الالتزام بالشريعة فتبيع

الخمور، وتبيع الخترير، وتبيع اللحوم المشكوك بها.. وربما تجنبوا هذه الأمور عند حفل الرجل الحريص على دينه، يغطون الخمور، ويخرجون القضايا الأخرى عن مجال النظر..

قال لي أحدهم يوما: أدعو الله لنا يا شيخ أن يعيننا على التخلص من الخمور.. قلت: دعوت الله تعالى فاستجاب ولنبدأ بترحيل الخمور، ونستعين بالمدعوين فتريلها فورا، ويمكن أن يتم ذلك بدقائق.. لكنه تراجع وقال: أرى يا شيخ أن رزقي مرتبط ببيع هذه المواد، قلت: والله يا صاحبي إن رزقك ممنوع بهذه المواد ومحجوب عنك.. وما يعطيك به رزق أولادك.

صاحب مطاعم كثيرة، وحتى بارات، وحتى مراقص... تاب الله عليه - مع وجود صاحبتين - خليلتين عنده وولد من أحدهما، اتخذ قراره بالتوبة فباع كل الأماكن التي كانت تقع في مواقع سياحية وباع المراقص.. وطلب منه أن يدخل إلى إحداهما لتقرير الثمن، فقال والله لا أدخل، وادفعوا ما شئتم، والمطعم الذي بقي له، فأراد أن يستثمرها طلب من عماله أن يزيلوا الخمور، ولن يدخل المطعم وفيه زجاجة خمر واحدة، ولما نظف المطعم من المحرمات دخله تائبا عابدا، ثم جاءني بعد فترة وكان يحضر صلاة الفجر دائما، ويضع في صندوق التبرعات مبلغ من المال، وقال: يا شيخ.. كنت في ثلاثة مطاعم أبيع بحدود أربعين كيلو من اللحم... وكان يدر علي ربحا جيدا.. والآن في المطعم الوحيد الذي أبقيته أبيع ثمانين كيلو من اللحم، ويدر علي مالا مباركا وطيبا.

هذه بعض صور من المطاعم في الغرب.. والذين ملكوها وعملوا فيها، والكثير منها الآن بدأ يتخلص من المحرمات.. وهم في ازدياد.. وربما يشمل العدد الكبير من المسلمين.

المبحث الثاني

العمل في المجالات المرتبطة بالأطعمة

أ – المراعي:

يعمل كثير من المسلمين في أوروبا وأمريكا بالمراعي، والمراعي التي بها الخترير خصوصا.. والتي تورد لحم الخترير إلى المذابح والمطاعم وأماكن البقالة، ثم للمستهلك. وهو قطعا بالإجماع حرام مؤكد لا شبهة فيه ولا اجتهاد. أما قضية العمل في مزارع العنب – وخاصة القطاف – فإن الكثيرين يتحرجون بالعمل فيها لأن العنب المستنتج غالبا ما يذهب إلى صناعة الخمور، وقد سئلنا كثيرا عن الموضوع فتحيرنا ونسأل علماء المجمع عن ذلك لاستخراج فتوى بهذا الشأن، والرأي عندي أن هذا الإنتاج من العنب ليس كله يذهب إلى مصانع الخمر، فمنه ما يباع طازجا، ومنه ما يحول تجفيفا للزبيب، ومنه ما يصنع منه شراب العنب الطازج، أو يصنع منه دبس العنب، وأيضًا ما يستخرج منه خل العنب والذي يمر على مرحلة التخمر قبل أن يصبح خلا.. وهذه كلها مواد حلال أكلها وشربها، فلا حرج بالعمل في قطاف العنب، فإن التمر أيضًا يصنع مادة الخمر، ولا يحرم قطافه أو العمل في واحاته ومزارعه. وهو كمثل الأموال بالبنوك والتي تعتبر على العموم مواد تتعامل بالربى، وكثيرا الآن بالإجماع تؤخذ الأجور من البنوك، ولا يهم من أين جاءت هذه الأموال، ويقاس على ذلك العمل في مزارع الفواكه عموما وتكثر في مزارع البرتقال والتفاح والزيتون والفواكه المثمرة الأخرى.

ب – المذابح:

مذابح الدجاج والطيور ومذابح الأغنام، ومذابح الأبقار، ومذابح الخترير، ومذابح الحيوانات الأخرى، الأرانب، الغزلان، وكل ما يمكن أن يؤكل.

ذبيحة أهل الكتاب من اليهود والنصارى حلال للمسلمين، ولا نسأل عن الطريقة، فقد بين الله تعالى بعد أن بين لنا الحرام من المأكل.. ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ

مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)، وبعد أن فصل الله تعالى لنا ما حرم علينا توجه بالنداء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (٢).

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (٣).

فالحلال بين والحرام بين ونحن نتحدث عن بلد غالب سكانه من النصارى فندخل بذلك الحلة في طعام هؤلاء. ولكن يشوب الأمر شائبتان لابد من الوقوف عندها والتأكيد عليهما وهما:

أولاً/ يلجأ النصارى (٤) في كثير من بلدانهم الآن إلى قضية تخدير الذبيحة الطير أو الحيوان، أو الصعق الكهربائي للتخفيف عن الذبيحة بادعائهم، أو بإطلاق إبر مخدرة للحيوانات الأكثر شراسة، فإذا جرى التخدير فخفف حركة الطير أو الحيوان تم ذبحه – والأمر كله بالآلة الآن – ولعله هو الأكثر استهلاكا عند النصارى عموما. وحتى أنه تخلوا عن ذبائح النذور، فيكتفوا بشرائها مذبوحة بالطريقة ذاتها.

إن هذه العملية قد تميت أحيانا الذبيحة قبل ذبحها فتدخل بالمواد المستهلكة وهي ميتة، ولا يعلم أيها تلك. وخاصة في الطيور التي قد لا تتحمل الصعق الكهربائي كبقية الحيوانات الأخرى، ويتبع ذلك أن الطيور – الدجاج – لا تذبح وإنما يقطع لسانها لتصفي دمها ذلك – رغبة بالاستفادة من الدم – لإدخاله في الأغذية المقدمة للطيور أو الحيوانات، ومن العجب في مصارعة الثيران في أسبانيا وأمريكا الجنوبية التي يكثر فيها السكان من الأصل الأسباني، فإنهم يميتون الثور بطعنة في رقبته من قبل البطل – مصارع الثيران – حتى يموت، فتعطى أذنه الواحدة، أو أذنيه الاثنين، أو ذيله للمصارع على حسب إتقان عمله بطعن الثور الذي يجر بعد ذلك ميتا، ويباع لحمه بأثمان غالية جدا وهو ميت.

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) المائدة: ٤.

(٣) المائدة: ٥.

(٤) لم يغير اليهود طريقة ذبحهم فهي – أي ذبيحة اليهود – حلال بكل المقاييس المادية والشرعية.

ثانيًا/ إن كثير من العاملين في المذابح – ليسوا نصارى – فهم ملحدون، أو علمانيون، أو شيوعيون، لا يؤمنون بعيسى ولا بغير عيسى، وحتى لا يعرفون من دينهم شيء، وكثير من المذابح توظف عمالا هندوس أو بوذيين أو وثنيين في عمليات الذبح، وبذلك فإن هذين الأمرين – مع أمور أخرى – تحرم أكل اللحوم التي تمر بهذه الطرق، وقد استعيض عنها ببدائل إسلامية. أو دققت من بعض الشركات، فوضعت كلمة حلال عليها أو أنها تؤخذ من ذبح اليهود.

طلب إلي أن أعطي لإحدى مذابح الدجاج في أسبانيا – رخصة إنتاج حلال لمنتجاته – طاقة المذبح حوالي خمس وخمسين ألفا إلى ستين ألفا في اليوم الواحد، ويعمل به عمال وعاملات مسلمون ومسلمات من المغرب، وعلى موعد ذهبت إلى المصنع بصحبة إمام أحد المساجد عندنا هناك، وبدأت بمراقبة الإنتاج، مبنى ضخم جدا يعمل بشكل آلي تماما – من خارج المبنى يتم تعليق الدجاج من أرجلها حيث تنقل إلى داخل المبنى آليا وتدخل في فناء تأخذ معه صعق كهربائي – تخرج منها إلى حيت يتم الذبح – وهناك ثلاثة عمال – ليس بينهم مسلم، وإنما يعملون تحت إشراف مسلم.. يفتحون فم الدجاجة ويقصون لسانها ليصفي دمها حيث تمر بمرحلة تصفية الدم ومن ثم الدخول إلى مراحل التنظيف، وهي مرحلة طويلة نوعا ما، ثم تخرج إلى مجمع يتم فيه إزالة الزوائد، الأرجل والرأس وغير ذلك حيث يتم بعد ذلك الترتيب للبيع إما كاملا أو مقطعا إلى أجزاء حسب الحاجة، ويخرج بعد ذلك إلى مبردات ومنها إلى الأسواق، ووقفت على كثير من العاملين من المسلمين وفي الإدارة مشرف على الذبح – أو قطع اللسان – ومشرف عام على سير الذبائح، وآخرون في مواقع تفتيش حسب الحاجة منهم رومان – أو أرثذوكس – وكاثوليك ومسلمون.

ورافقنا المدير العام للمصنع والمدير الإداري ومدير الإنتاج من أول العملية إلى آخرها.

المرحلة الأولى: أخذت دجاجات من الخارجات من الصعق الكهربائي خارج المسار، وتركتهم في الأرض فترة كافية حتى اطمأننت إلى أنها لم تمت ولا واحدة منهن.

المرحلة الثانية: المشرف على الذبح مسلم، أحضر سكينا حادة وفي نفس مكان قص اللسان قام بذبح الدجاجات وغيرهن مكبرا مهللا دون أن يقطع الرأس، وتأكد من أن جميع المذبوحات أحياء، وليس فيهن واحدة ميتة ثم تابعت العملية فقامت للتنظيف، ومن ثم خرجن إلى التغليف بفارق أن علامة الذبح موجودة والباقيات مقطعوعات الرؤوس، إلا ما ذبح بالسكين وعلى الطريقة الإسلامية.

وتم كتابة عقود تضمنت الآتي:

١. تعهد من المشرف على الذبح أن يقوم هو ومسلم آخر بذبح الكميات التي تخصص للبيع للمسلمين وبعلامة متفق عليها بين المسجد والمصنع، ومع إجراء التكبير وما يلزم ذلك.

٢. تعهد من المشرف على الإنتاج وهو مسلم بالتدقيق والمراقبة، حتى لا يختلط المذبوح شرعا مع مقصوص اللسان، ويترك هناك فجوة كافية سابقة أو لاحقة بين هذا الإنتاج وما سواه.

٣. يبقى الرأس معلقا بالذبيحة حتى مرحلة التغليف الأخيرة.

٤. تعهد من أخت مسلمة مشرفة على التغليف أو التعليب حتى لا يختلط الدجاج المقطع الأجزاء مع غيره قبل أن يغلف ليدخل تحت علامة حلال.

٥. تعهد من المدير العام، ومدير الإنتاج ومدير الإدارة بتخصيص أوقات معينة وبرنامج محدد، تذبح به الكميات المتفق عليها ذبحا شرعيا ولا يختلط مع سابق أو لاحق من الدجاج، ويغلف ويخرج خارجا حتى لا يخلط مع النوع الآخر.

٦. للمسجد الحق أن يفاجئ المصنع للتفتيش في أي لحظة ودون إذن مسبق لمراقبة المذبوح شرعا.

٧. إعلام المسجد عن أي توقيف للعمال المكلفين بالذبح والمراقبة، واستبدالهم بسواهم من المسلمين.

وأخيرا فإن البدائل من الحيوانات قد وجد في أي مكان في العالم، إما بترخيص بالذبح الحلال، أو بالذبح مباشرة في المذابح الملحقة بحظائر تربية الحيوانات، عمومها حيث تقدم الذبيحة حية لمشتريها ويعطي سكينا ويذبح ذبيحته، ثم يقوم المذبح بعد ذلك بإتمام الباقي.

وهذه البدائل أخذت تواجدا لها في أوربا أكثر من أمريكا.

المبحث الثالث

النقل والتسويق

يسبق العمل في المطاعم عملية أخرى وهي عملية النقل (سواقون)، وعملية التسويق (بائعون) في البقاليات، أو المزراع. أو أية مؤسسات أخرى تتعامل بالأغذية على عمومها.

إن نقل الخمور حرام قطعا؛ لأن الناقل كالشارب ومثلها نقل لحم الخنزير، وحتى نقل المذبوحات على غير الطريقة الإسلامية، فإنه التعامل بها حرمته واضحة جدا لا مجال للشك فيها. أما نقل العنب بعد القطاف إلى غير مصانع الخمور فيه فسحة، أما إلى مصانع الخمور فهو حرام قطعا، وينطبق على هذا تصدير هذا تصدير هذه المواد أو استيرادها أو التعامل معها في المطاعم - والتي يملكها مسلمون - ويتعامل بها مسلمون.

المبحث الرابع

المطعم

أقسامه: لم يعد المطعم الآن حكرا على نوع معين من الطعام كما في بعض البلدان العربية، ولكن المطعم يدار بأقسام كثيرة.

أولها: التموين.

ثانيها: المطبخ.

ثالثها: المطعم.

رابعها: المجلى والأواني المستعملة من ابتداء تقديم الطعام إلى نهايته.

ويقدم في المطاعم الحديثة في الغرب المشارب. وأكثرها من الخمور، مع منافسة المشروبات الغازية الآن بشكل كبير للمشروبات الروحية، ولذلك فإن العمل في المطاعم التي تختلط بها اللحوم مع الخمور وليس هناك تفريق بينهما، فالعمل فيه حرام، ويحاول البعض أن يستثني بعض الأقسام كالمجلى، والذي يتم فيه تنظيف الأواني وغالبا ما يكون فيها آثار لحم حرام أو شراب حرام على أساس أنه لا عمل غيره، خاصة للنساء. أما تقديم الطعام المعروف والمشروب المعروف بحرمتها واردة، وكذلك التخزين والطهي.

إن الأخذ بالحذر المفروض، والابتعاد عن الشبهة مفروض، أو الاستغناء عن الأعمال في المطاعم التي لا تتحرى الحلال من أولها إلى آخرها فهي محرمة ابتداء من التخزين، وانتهاء بالجلي.

فكلها مرتبطة ببعضها فقد لعن آكلها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه بنص الحديث الشريف، وأساسها محرم بنص القرآن الكريم، فلا يمكن أن نتحرى في أي جزء من الأجزاء الحلال من الحرام. فليتجنب المسلمون هذا الأمر حتى لا نقع في المهالك، قال عليه السلام: "الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات... الخ الحديث"(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه (٥٠)، ومسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٢٩٩٦).